

# أهل البيت

محمود الشرقاوي

١٣٦٥ هـ



اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فممى  
الاسكندرية

# أهل البيت

حمزة بن عبد المطلب  
العباس بن عبد المطلب  
علي بن أبي طالب  
فاطمة الزهراء  
الحسين بن علي  
الحسين بن علي  
الشيخة زينب  
السيدة نفيسة

محمود الشرقاوي



## مقدمة

أهل البيت هم مصابيح الهدى . شجرة النبوة ، مهبط الرسالة ، ومنبع الرحمة ، ومعدن العلم ، العاملون بالقرآن المجيد ، المستجاب دعاؤهم ، الذين رضوا عن الله فرضى الله عنهم .

روى البخاري عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

« لكل شيء أساس ، وأساس الاسلام حب أصحابي وأهل بيتي »  
وقال صلى الله عليه وسلم :

« من مات على حب آل محمد مات شهيدا ، الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ، الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا . الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ، الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها . الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة ، الا من مات على حب آل محمد جعل قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة . الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله ، الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ، الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة » .

وقد خصهم الله تعالى بنزايها منها تحريم الصدقة عليهم لكونها وساخ الناس وتعويضهم من الفء والغنيمة ، وطلب اكرامهم وتوقيرهم .

وحدث الرسول صلى الله عليه وسلم على الاقتداء بهم والتعلم منهم فقد يراهم الله تعالى من كل وصمة وسقطعة وعثار وميزهم بأنهم الحائزون لفصبة السبق في كل كمال ومضمار .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت » .

وروى الديلمي والطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

— لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه ، وتكون عشرتي احب اليه من عشرته واهلى احب اليه من اهله وذاتي احب اليه من ذاته .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

— توفي لصفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها ابن ، فبكت عليه ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— تبكين با عمة ، من توفي له ولد في الاسلام كان له بيت في الجنة يسكنه .

فلما خرجت لقيها رجل ، فقال لها :

— ان قرابة محمد لن تفنى عنك من الله شيئا ، فبكت ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتها ، ففزع من ذلك فخرج ، وكان صلى الله عليه وسلم مكرما لها يبرها ويحبها ، فقال لها :

— يا عمة ، تبكين ، وقد قلت لك ما قلت ؟

قالت : ليس ذلك أبكاني ، وأخبرته بما قال الرجل ، فغضب صلى الله عليه وسلم وقال :

— ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع أن كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وأن رحمتي موصولة في الدنيا والآخرة .

وروى عن كعب بن شجرة أنه قال : لما نزلت الآية الكريمة :

« ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

قلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟

فقال : قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد .

وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله :

— « لا تصلوا على الصلاة البتراء » .

فقالوا : وما الصلاة البتراء .

قال : نقولون اللهم صلى على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد .

قال الامام الشافعى رضى الله عنه :

يا أهل بيت رسول الله حبيكم  
فرض من الله في القرآن أنزله

كنفكم من عظيم القدر انكم  
من لم يصل عليكم لاصلاة له (١)

وحب أهل البيت واجب . فهم اساس الدين ، وعماد اليقين . يقول  
الامام محيى الدين بن عربى :

رايت ولأئى آل طه فريضة  
على رغم البعد يورثنى القربا  
فما طلب المبعوث اجرا على الهدى  
بتبليغه الا المودة فى القربى

ويقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

آل النبى ذريعتى

وهو البند وسيلتى

أرجو بهم اعطى غدا

بيد اليمين صحيفتى

وكان السلف الصالح يتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآله  
الطاهرين وعترته المباركين ، فيفرج الله تعالى كربهم ، ويكشف غمومهم ،  
فقد قصدوا مهابط يستجاب فيها الدعاء ، وتحيط بها ملائكة السماء .

فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثانى الخلفاء الراشدين ، من اعز  
الله به الاسلام ، وقد عرف للعباس بن عبد المطلب رضى الله عليه ، عم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصنو ابيه ، قدره ، توسل به فى حاجته  
وحاجة المسلمين ، ففى عام الرمادة ، رثى عمر ، متبدلا : متضرعا ، وعن  
يمينه العباس بن عبد المطلب خرج للاستسقاء ، فدعا يومئذ وهو مستقبل  
القبلة رافعا يديه الى السماء يقول :

— اللهم انا كنا اذا قحطنا توسلنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم  
فتسقينا ، وانا نتوسل اليى بعم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونستشفع  
به اليك فاسقنا .

(١) أى لا صلاة له صحيحة او لا صلاة له كاملة ( الصواعق المحرقة ص ٨٨ )

وقال العباس :

- اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء ، الا بذنب ، ولا يكشف الا بتوبة ،  
وقد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك ، وهذه أيدينا اليك بالذنوب ،  
ونواصينا بالتوبة ، وانت الراعى لا تهمل الضالة ، ولا تدع الكسير بدار  
وضيعة فقد ضرع الصغير ، ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وانت تعلم  
السر واخفى ، اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا يياس  
من رحمتك الا القوم الكافرون .

فما اتم دعاءه ، حتى هطل المطر ، ويروى لابن عفيف فى الاستسقاء  
بالعباس :

ما زال عباس بن شيبه غاية  
للناس عند تنكر الايام  
رجل تفتحت السماء لصوته  
لما دعا بدعائه الاسلام  
فتحت له ابوابها لما دعا  
فيها بخند معلمين كنرام  
عم النبي فلا كمن هو عمه  
ولسد ولا كالعم فى الاعمام  
عرفت قریش يوم قام مقامه  
فيه له فضل على الاقوام

وروى ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه . ان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال : « من خرج من بيته الى الصلاة ، فقال :  
اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق مشاييك ، فانى  
لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، انما خرجت اتقاء سخطك ،  
وابتغاء مرضاتك ، فأسألك ان تعيذنى من النار ، وأن تغفر لى ذنوبى ، فانه  
لا يغفر الذنوب الا انت ، اقبل الله تعالى عليه ، واستغفرت له الملائكة » .

وفى هذا الحديث الشريف ، حث الرسول صلى الله عليه وسلم على  
التقرب بالسائلين ، والتوسل بهم . ومن أولى بذلك من سألنى السادة  
المقربين ، الطاهرين ، وهم آل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم .



روى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات فاطمة بنت أسد ، أم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، قال :

— اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى .

فثبت بهذا الحديث ، جواز التوسل بالأنبياء ، مما يؤيد ثبوت أصل التوسل بلا مرأى .

وروى البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه ضرير فقال :

— يا رسول الله ، أدع الله لى أن يعافينى .

فأمره بأن يتوضأ ، ويحسن الوضوء ، ويقول :

— اللهم انى أسالك واتوجه اليك ، بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد انى أتوجه بك الى ربك فى حاجتى لتقضى ، اللهم شفعه فى . ففعل فعاد بصيرا .

وفى هذا الحديث ، أمر من رسول الهدى بالتوسل بالنبي عليه السلام ، وهو رأس التوسل ، وفى بنائه أساس متين . وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتوسلون بالرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، وهم نجوم الهدى ، ومنار الرشاد ، وقدوة العباد .

روى ابن شعبة والبيهقى أن الناس أصابهم قحط شديد فى خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فجاء بلال بن الحرث ، الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال :

— يا رسول الله ، استسق لأمتك فانهم قد هلكوا

فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال :

— ايت عمر فاقم له السلام ، وأخبره أنهم يسقون .

فقام من نومه مسرورا ، وسقاهم ربهم شرابا طهورا .

وهذا نص صريح فى توسل الصحابة عن الأمة برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته . وهو دافع لمن لا يجيز التوسل به صلوات الله عليه بعد لحوقه بالرفيق الأعلى ، وآية على جواز التوسل بمن مات من آل بيته رضى الله عنهم ، لأنهم جزءه ، ويضعه منه .

قال صلى الله عليه وسلم :

– حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ومماتي خير لكم تعرض على اعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله تعالى عليه ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم .

يقول الأستاذ الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقا في مقدمته لكتاب « شفاء السقام » للامام السبكي :

« كما جاز أن يتوسط حي في قضاء مصلحة حي أو ميت ، والفعل لله وحده ، جاز أن يتوسط ميت في قضاء مصلحة حي أو ميت ، والفعل لله وحده ، فالأرواح باقية على الحياة » .

ويقول الأستاذ الشيخ محمد حسنين مخلوف :

« ان الروح تبقى في البرزخ مدركة تسمع وتبصر وتسبح صباحا في ملك الله حيث اراد الله وقدر ، وتتصل بالأرواح الاخرى ، وتأنس بها وتناجيهما سواء اكانت ارواح احياء ام ارواح اموات » .  
وقال ايضا :

– « وقد تواترت الروايات الصحيحة والرؤى من اصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد موتها ، وانها تقرأ القرآن وتصلى وتخبر أرواح الأحياء عند لقاءها ، وتقضى حوائج الناس ، وانها تقدر على ما لا نقدر على مثله حال اتصالها بالبدن في الدنيا من هزيمة الجيوش الكبيرة بالعدد القليل ، متمثلة وغير متمثلة وظاهر ان هذا هو لبعض الأرواح التي يؤذن لها بذلك » .

واهل البيت في برزخهم ، يفيضون ، كما كانوا يفيضون في الحياة الدنيا ، حيوية ومحبة ، ومن علاهم يمدون ايديهم ويهدون علمهم ، ويبشون احياءاتهم للاحياء بالعمل الصالح ، والاقبال على طاعة الله تعالى .

وهذا الكتاب يروى صفحات مشرفة عطرة من حياة اهل البيت النبوي الكريم ، سادات العباد ، وانوار الله في جميع البلاد .

كانت حياتهم - رضى الله عنهم - عطرا فواحا لا يفنى بمرور الزمن .  
ولا يذهب ريحه الطيب الزكى بتوالى الحقب والأيام ، انما هو عطر خالد  
باق نستروحه فى كل حين فنجد أنه هو العطر الفواح الذى تهدأ به النفس ،  
وينشرح له الصدر ، ونستقبل به الحياة - فى دفاعنا عن الحق . وذودنا  
عن المبادئ الشريفة - احسن الاستقبال . وما احرنا ان نقتبس من منهجهم .  
القويم ، وطريقهم المستقيم فى الحياة ما يوصلنا الى خير الدنيا والآخرة .

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

محمود على الشرقاوى



فارس الاسلام

علاء بن ابي طالب



ولد داخل الكعبة ، ورعى في منزل الوحي ، وتتلמד للقرآن الكريم واستوحاه ، فأوتى الحكمة وفصل الخطاب ، هو كما قال عنه أبو الحسن البصري : كان والله سهما صائبا من مرامي الله على عدوه ، رباني هذه الأمة ، أعطى القرآن عزائمه ، وعلم ما فيه حتى قبضه الله إليه ، فكان امام الفقهاء وعلماء الشريعة ، واقدروهم على استنباط الأحكام الدينية ، واليه رجع الخلفاء من قبله في مشكلات الحكم والقضاء .

وهو رضى الله عنه ، فتى الفتيان ، وفارس الاسلام .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن فتوة الاسلام :

- لفتيان أمتي عشر علامات .

وسأل سائل :

- وهل لأمتك فتيان يا رسول الله ؟

أجاب عليه الصلاة والسلام :

- نعم . وأين الفتوة الأولى ، من فتوة أمتي ؟

- وما تلك العلامات يا رسول الله ؟

- صدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، وإداء الأمانة ، وترك الكذب ، والرحمة باليتيم ، وإعطاء السائل ، وبذل النائل ، واكثار الصنائع ، وقرى الضيف ، والحياء .

لقد كان السائل هو نفسه على بن أبي طالب ، وكان لا يدري أنه سيكون فتى الفتيان ، لأنه كان أشجع فرسان الاسلام ، في الصبر على المكاره ، ومواجهة المصاعب ، بقلب المؤمن وبموقف القدوة ، وضرب المثل . يقول الرسول الأعظم :

- لا سيف الا ذو الفقار ، ولا فتى الا على .

وعلى كرم الله وجهه هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وهى أول هاشمية وادلت لهاشمى . وهى أول امرأة بايعت الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء ، ثم هاجرت الى المدينة وتوفيت بها . وكان الرسول

صلى الله عليه وسلم يكرمها ويعظمها ويدعوها « أمى » . وقد أوصت اليه حين حضرتها الوفاة ، فقبل وصيتها ، وصلى عليها ، ونزل لحسدها ، واضطجع معها فيه بعد أن البسها قميصه وقال :

— اللهم اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك محمد والإنبياء الذين من قبلك فانك أرحم الراحمين .

فقال له أصحابه :

— انا ما رأيناك صنعت — يا رسول الله — بأحد ما صنعت بها .

فقال عليه الصلاة والسلام :

— أنه لم يكن أحد بعد أبو طالب أبر بى منها ، إنما البستها قميصى لتكسى من حلل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها ضغطة القبر .

ولد على قبل البعثة بعشر سنين ، وكان أبوه أبو طالب كثير العيال ، فلما أصاب مكة جذب ، سأل الرسول عمه العباس أن يخفف عن أبى طالب مشقة العيش بأن يعول بعض ولده ، وذهب الرسول والعباس الى أبى طالب ، وعرضا عليه المساعدة فقبل ، فضم العباس جعفر ، وضم الرسول عليا . وقد نشأ على فى بيت الرسول الأعظم ، وعاش فى كنفه ، ونعم بقربه ، وظفر بعطفه ، وكان أقرب الناس الى قلبه ، وأحبهم الى نفسه .

ولما بعث الله ( جلّت قدرته ) محمدا الى الناس مبشرا وهاديا ونذيرا ؛ كان على بن أبى طالب أول من اقتبس من ذلك النور الإلهى ، فانشرح صدره بهذه الدعوة الكريمة ، وقد روى عنه أنه قال : « لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين ، فكان بذلك أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : روى عن أنس بن مالك أنه قال : استنبيء النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء .

وروى يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال : حدثنا يحيى بن الأشعث عن اسماعيل بن إياس بن عفيف الكندى عن جده قال :

« كنت أمرا تاجرا فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتساع منه بعض التجارة . وكان أمرا تاجرا ، فوالله أنى لعنده بمنى ، إذ خرج رجل من خباء قريب منه : فنظر الى الشمس ، فلما رآها قد مالت قام يصلى ، ثم خرجت امرأة من ذلك المخبأ الذى خرج منه ذلك الرجل ، فقامت خلفه تصلى ، ثم خرج غلام قد راهق الحلم من ذلك المخبأ فقام



معهما يصلى ، فقلت للعباس . من هذا يا عباس ؟ . قال : هذا محمد بن عبد الله ابن اخى . قلت : من هذه المرأة ؟ قال : هذه امراته حديجة بنت خويلد قلت : من هذا الفتى ؟ ، قال : على بن ابى طالب ابن عمه . قلت : ما هذا الذى يصنع ؟ . قال : يصلى ، وهو يزعم انه نبي ، ولم يتبعه فيما ادعى الا امراته وابن عمه هذا الغلام ، وهو يزعم انه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر « فى هذا البيت الذى ترفرف عليه اجنحة العناية الالهية ، ويتضوع بأريج الدعوة المباركة ، ويشع منه نور الهداية ، عاش على بن أبى طالب ، فنشأ على الفضيلة ، والتقى والورع ، وخشية الله جل شأنه .

يقول ابن أبى حديد . « كان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما ، كما كان غاية الغايات فى التقوى والورع ، ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة ، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير ، فيصلى عليه ورده ، والسهم تقع بين يديه ، وتمر على صماخيه يمينا وشمالا ، فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته ، وما ظنك برجل كانت جبهته كثفة (١) البعير لطول سجوده ، وأنت اذا تأملت دعواته ومناجاته وقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله ، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته والاستخذاء له ، عرفت ما ينطوى عليه من الاخلاص وفهمت من أى قلب خرجت وعلى أى لسان جرت » .

ظل على يشارك الرسول أفراحه وأتراحه ، ويقاسمه حلو العيش ومره ؛ يفرح اذا رأى الدعوة الاسلامية مرفوعة اللواء ، ويبتئس اذا أصاب الرسول ضرر قريش واينذاؤها فى هذه الدعوة الكريمة .

يقول البدر العيني فى شرح البخارى : « على بن أبى طالب الهاشمى المكي المدني ، هو أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة ، قال له : أنت أخى فى الدنيا والآخرة ، وأبو السبلين ريحانتى الرسول ، وأول هاشمى ولد بين هاشميين ، وأول خليفة من بنى هاشم ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة . واحد الستة من أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، واحد الخلفاء الراشدين ، واحد العلماء الربانيين ، واحد الشجعان المشهورين ، والزهاد المذكورين ، واحد السابقين الى الاسلام ، واحد الثابتين يوم أحد ، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها الا تبوك ، استخلفه فيها الرسول على المدينة ، وأصابته

يوم « احد » ست عشرة ضربة ، واعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم  
الراية يوم خيبر ، واخبر ان الفتح يكون على يديه ، ومنساقبه جمعة ،  
واحواله في الشجاعة مشهورة » ويقول المسعودى فى كتابه « مروج  
الذهب » :

« والأشياء التى استحق بها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الفضل هى السبق الى الايمان ، والهجرة ، والنصرة لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم والقربى منه ، والقناعة ، وبلد النفس ، والعلم بالكتاب  
والتنزيل ، والجهد فى سبيل الله ، والورع والزهد ، والقضاء والحكم ،  
والفقه ، وكان لعلى عليه السلام منها النصيب الاوفر والحظ الاكبر ، الى  
ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين آخى بين  
اصحابه « انت اخى » وهو صلى الله عليه وسلم - لا ضد له ولا ند -  
وقوله صلوات الله عليه : « انت منى بمنزله هرون من موسى الا انه  
لا نبى بعدى »

\*\*\*

كان على بن ابي طالب رضى الله عنه - كما قال واصفوه - ربعة بين الرجال الى القصر اقرب ، أسمر اللون ، حسن الوجه ، واضح البشاشة ، ادمع (١) العينين عظيمها اذلف (٢) الأنف ، اصلع ليس في رأسه شعر الا من خلفه ، ناتيء الجبهة له صفاف (٣) كأنه اكليل ، وكان عنقه ابريق فضة ، كث اللحية طولها تملأ صدره لا يغير شيبه ، عريض المنكبين لهما مشاش (٤) كمشاش السبع الضاري ، ولا يبين عضده من ساعده قد ادمجت ادماجا ، عبل (٥) الذراعين ، شئن (٦) الكفين ، وكان كبير البطن ، يميل الى السمنة في غير افراط ، اقرب (٧) الظهر ، عريض الصدر كثير شعره ، صخيم الكسور (٨) ، عظيم الكراديس (٩) غليظ العضلات ، ممشي (١٠) الساقين ، ضخيم عضلة الذراع ، دقيق مستدقها ، ضخيم عضلة الساق دقيق مستدقها ، ينكفاً في مشيته على نحو يقارب مشية النبي ، واذا مشى الى الحرب هرول .

وقد نشأ رضى الله عنه ، قوى البنيان مكين التكوين ، وظل كذلك في شبابه وكهولته وفي شيخوخته ، فكان - كما قال واصفوه - قوى الساعد واليد قوة بالغة ، ما صارع أحدا الا صرعه ، ولم يبارز أحدا الا قتله ، اذا أمسك بذراع أحد فكانه أمسك بنفسه فلا يستطيع ان يتنفس ، وقد يقتلع الفارس من ظهر جواده بيده ، ويرمى به الأرض غير جاهد ولا حافل فعل ذلك أيام « صفين » « بأحمر » مولى بنى أمية ، لما هم أن يضرب عليا بعد أن قتل « كيسان » مولاه ، فوضع على كرم الله وجهه يده في جيب درع ، « أحمر » وجذبه عن فرسه وحمله على عاتقه ثم ضرب به الأرض

(١) الدمع : شدة سواد العين مع سعتها .

(٢) الدلف : قصر الأنف وصفره .

(٣) الصفاف : الطرة حول رأس الاصلع .

(٤) المشاش : رموس العظام كالمنكبين والرفقين والركبتين ، والمراد أن رموس عظام المنكبين منه كرموس عظام منكبى الاسد في الغلظ .

(٥) عبل الذراعين : ضخمتها .

(٦) شئن : غليظ

(٧) شديد

(٨) الامضاء

(٩) الكراديس جمع كردوس وهو كل عظمتين التقتا في مفصل .

(١٠) دقيقهما .

فكسر منكبه وعصديه وأجهز عليه الحسين ومحمد بن الحنفية رضي الله  
عهما . وهو الذي حمل بابا بخيبر ، عجز عن قلبه النفر من الأشداء ،  
واتخذته ترسا حين سقط ترسه عند فتح حصن ناعم أحد حصون خيبر  
المنيع .

روى الطبري عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
برأيته : فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم ، فضربه رجل من اليهود  
فطاح ترسه من يده ، فتناول علي رضي الله عنه بابا كان عند الحصن ،  
فتترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده ، وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ،  
ثم القاه من يده حين فرغ ، فقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم ، نجهد على  
أن نقلب ذلك الباب فما تقلبه . » .

وورد انه جعل الباب قنطرة اجتاز المسلمون عليها « الخندق » الى  
داخل ابنية الحصن . وكان اول ما عرف عن شجاعة علي رضي الله عنه ،  
مبيتة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الهجرة ، وهو يعلم  
ما تأتمر به قريش من قتل الراقد على فراشه ، وان فتية منهم يحاصرون  
البيت ، ويترصدونه ، حتى اذا خرج يقتلونه ، فلم يشنه ذلك عن البيت ،  
وفدائه الرسول بنفسه ، فضرب الثل الأعلى في التضحية والفداء . ثم أدرك  
الرسول المدينة سالما على بركة الله ، وتتابع المسلمون الى المدينة مهاجرين ،  
فهاجر على مع من هاجر من المسلمين ، ثم آخى الرسول بين المهاجرين  
والأنصار وقال لعلي : انت اخي في الدنيا والآخرة ، وآخى بينه وبين نفسه .  
وقد ظل هذا الرباط الوثيق بين علي وابن عمه الرسول ، ثم ازداد  
وثاقه بزواجه من ابنته السيدة فاطمة الزهراء .

\*\*\*

ورد في فضله آيات كريمة ، واحاديث شريفة جمّة ، فقد نقل الواحدى في كتابه « أسباب التنزيل » ان الحسن والشعبي والقرطبي قالوا : ان عليا رضى الله عنه والعباس بن عبد المطلب وعثمان بن شيبة افتخروا فقال عثمان ابن شيبة : « اعطانى الله رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدانة يعنى مفاتيح الكعبة » وقال العباس بن عبد المطلب : اعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم السقاية ، وهى زمزم » قالوا : « ولم يعطك شيئا يا على . فانزل الله تعالى : « اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهدوا فى سبيل الله لا يستون عند الله ( الى ان قال ) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون » .

ونقل الواحدى فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان مع على رضى الله عنه اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم لبسلا ، وبدرهم نهارا ، وبدرهم سرا ، وبدرهم علانية فانزل الله تعالى : « الذين يتفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خيف عليهم ولا هم يحزنون » .

وقال الامام ابو اسحق الثعلبى فى تفسيره ان سفيان بن عيينة سئل عن قوله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع » فيمن نزلت ؟ فقال للسائل : لقد سألتنى عن مسألة لم يسألنى عنها احد قبلك . حدثنى أبى عن جعفر ابن محمد عن آبائه رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد على رضى الله عنه . وقال : — من كنت مولاه فعلى مولاه . .

فشاع ذلك فى البلاد ، وبلغ الحرث بن النعمان الفهرى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقه له فأناخ راحلته ونزل عنها وقال : — يا محمد امرتنا عن الله عز وجل ان نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلنا منك ، وامرتنا ان نصلى خمسا فقبلنا منك ، وامرتنا بالزكاة فقبلنا ، وامرتنا ان نصوم رمضان فقبلنا ، وامرتنا بالحج فقبلنا ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت ابن عمك تفضله علينا فقلت : من كنت مولاه فعلى مولاه ، فهذا شئ منك ام من الله عز وجل ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : —

والذى لا اله الا هو ان هذا من الله عز وجل .

تولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول :  
— اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً فإن علينا حجارة من السماء أو  
اثنتا بعذاب اليم .  
فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عز وجل بحجر سقط على هامته  
فقتله .

فأنزل الله تعالى :  
« سأل سائل بعذاب واقع . للكافرين ليس له دافع . من الله ذى  
المعارج » .

وأخرج مسلم عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال :  
— « والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، أنه لعهد النبى الأمى أنه  
لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق » .

وأخرج الحاكم وصححه عن علي قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إلى اليمن . فقلت : يا رسول الله بعثتني وأنا شاب اقضى بينهم ولا  
أدرى ما القضاء . ف ضرب صدرى ، ثم قال :

— اللهم اهد قلبه وثبت لسانه . فوالذى فلق الحبة ما شككت في قضاء  
بين اثنين بعد .

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمة رضى الله عنها عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

— من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله . ومن أبغض  
علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة رضى الله عنها قالت :

— سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : على مع القرآن ،  
والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض .

وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— « أنا مدينة العلم ، وعلى بابها ، فمن أراد العلم فليأت به » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب  
رضي الله عنه بمؤتة من أرض الشام — لا يبحث بعلى في وجهه من الوجوه  
الا وهو يقول :

« رب لا تدرني فردا وانت خير الوارثين » .

وحمل على يوم أحد على كردوس من المشركين خشن فكشفهم . فقال  
جبريل عليه السلام :

— يا محمد ، ان هذه لهى المواساة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

— يا جبريل ان عليا منى .

قال جبريل عليه السلام :

— وانا منكم .

وقال عمار بن ياسر . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
لعلى بن ابي طالب :

— يا على ، ان الله عز وجل قد زينك بزينة لم يتزين العباد بزينة احب  
اليه منها :

الزهد فى الدنيا . فجعلك لا تنال من الدنيا شيئا ، ولا تنال الدنيا منك  
شيئا ، ووهب لك حب المساكين . ورضوا بك اماما ، ورضيت بهم اتباعا ،  
فطوبى لمن احبك ، وصدق فيك ، وويل لمن ابغضك وكذب عليك ، فأما  
الذين احبوك . صدقوا فيك ، فهم جيرانك فى دارك ، ورفقاؤك فى قصرك ،  
وأما الذين ابغضوك وكذبوا عليك ، فحق على الله ان يوقف الكذابين  
يوم القيامة .

سئل ابن عباس رضى الله عنهما ذات يوم ، أين علمك من علم على ابن  
عمك ؟

فاجاب : كقطرة المطر الى البحر المحيط .

وكان على رضى الله عنه حجة المسلمين فى الفقه والتفسير والفتيا حتى  
ان عمر بن الخطاب ، على جلالة قدره وعلمه ، كان يرجع اليه فيما يشكل  
عليه من أمور الدين ، وقد قال : لا يفتين احد فى المسجد وعلى حاضر ، كما  
قال رضى الله عنه : لولا على لهلك عمر .

وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لعبد الله بن عياش بن ابي  
ربيع :

— يا عم : لم كان ميل الناس الى على ؟

فأجاب :

- بابن أخى ، ان عليا كان له ما شئت من ضرر قاطع في العلم ، وكان له البسطة في العسيرة ، والقدم في الاسلام ، والصهر لرسول الله ، والفقه في السنة ، والنجدة في الحرب ، والجود بالماعون .

سأل معاوية بن ابي سفيان سعدا بن ابي وقاص :

- ما يمنعك ان تسب ابا تراب (١) « على رضى الله عنه » .

قال :

- اما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله فلن أسبه ، لأن يكون لى واحدة منهن احب الى من حمر النعم ، سمعت رسول الله يقول لعلى ، وخلفه في بعض مغازيه .

فقال له على : يا رسول الله ، تخلفنى مع النساء والصبيان ؟

فقال له رسول الله : اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى .

وسمعه يقول يوم خبير : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال : فتناولنا لها ، فقال : ادعوا لى عليا ، فاتاه وبه رمد ، فبصق في عينيه ، ودفع الراية اليه ، ففتح الله عليه .

ولما انزلت هذه الآية : « فقل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ... » آل عمران : ٦١ . دعا الرسول صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسنيا وقال ا « اللهم هؤلاء اهلى » .

---

(١) كنية كناه بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، في قصة معروفة رواها الامام البخارى ومى : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة الزهراء ، فلم يجد عليا في البيت ، فقال : أين ابن عمك ؟ قالت : كان بينى وبينه شيء فغاضيتى ، فخرج فلم يقل عدى ( من القيلولة ) « فقال رسول الله لانسان : انظر أين هو ؟ فجاء فقال : يا رسول الله ، هو في المسجد راقدا ، فجاء الرسول وهو مضطجع قد رداؤه من شقه وأصابه تراب ، فجعل الرسول يمسحه عنه ويقول : « قم ابا تراب » وقد كانت هذه الكنية احب الكنى اليه . ولكن أعداء الامام من بنى أمية كانوا يعمرون بها الامام على بن ابي طالب ، ويسبون به على المنابر ، ويجعلونها له نقيصة ووصمة ، فكانوا كسوه بها الطلى والحلل - كما يقول الحسن البصرى



تولى الامام على بن ابي طالب الحكم ، فلم تغير الخلافة ما اتصف به من البعد عن الهوى ، والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ابتغاء وجه الله العزيز الحكيم ، وكان يلبس من اللباس أخشنه .

روى عن عبد الله بن ابي الهذيل قال :

« زایت علیا خرج وعليه قميص غليظ دارس ، اذا مد كم قميصه بلغ الظفر ، واذا أرسله صار الى نصف الساعد » .

وروى ابحر بن جرموز عن ابيه قال :

« قال رایت علیا بن ابي طالب يخرج من الكوفة وعليه فطربان ( نوع من البرود ) متزرا بالواحدة مترديا بالآخرى ، وازاره الى نصف الساق ، وهو يطوف بالأسواق ، ومعه درة يأمرهم بتقوى الله وصدق الحديث وحسن البيع والوفاء بالكيل والميزان » .

كان على رضى الله عنه يسوى بين الناس ، لا يحب ان يرى فى بيت المال مالا الا اتفق على الفقراء والمحتاجين .

روى انه اذا ورد عليه مال لم يبق منه شيء الا قسمه ، ولا يترك فى بيت المال منه الا ما يعجز عن قسمته فى يومه ذلك ، ويقول : يا دنيا غرى غرى .

كان لا يفرق فى العطاء بين عربى او عجمى ، او بين قريب او بعيد . جاءه عقيل اخوه ، وقد لزمه دين يريد ان يسده عنه خليفة المسلمين ، القابض على بيت المال ، فأضافه على . ودعا بعشائه ، فاذا خبز وملح وبقل . فقال عقيل متسائلا عن الوليمة التى كان ينتظرها : ما هو الا ما ارى ؟

فاخبره على انه لا سبيل الى تغيير هذا الطعام

فقال عقيل : فتقضى دينى ؟

قال على : وكم دينك ؟

قال : اربعون الفا .

قال على : ما هى عندى ، ولكن اصبر حتى يخرج عطائى فانه اربعة آلاف درهم فأدفعه اليك .

فقال عقيل : بيوت المال بيدك ، وانت تسوفنى بعطائك ؟

فقال على : تأمرنى ان ادفع اليك اموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها !!

وقد شهد له معاوية بن ابي سفيان بهذه النزاهة النزيهة ، فقد حج معاوية بعد استشهاد على كرم الله وجهه فسأل عن امرأة يقال لها الدرامية الحجونية كانت من انصار الامام الشهيد ، فلما جاءت قال لها :

— أتدريين لم بعثت اليك ؟

أجابت :

— لا يعلم الغيب الا الله .

قال :

— بعثت اليك لاسألك علام أجبت عليا وأبغضتنى ، وواليتي وعاديتنى ؟

قالت :

— او نعفينى ؟

قال :

— لا أعفيك .

قالت :

— اما اذا أبيت . فانى أجبت عليا على عدله فى الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على فقال من هو اولى منك بالأمر ، وأطلبتك ماليس لك بحق ، وواليت عليا على ما عقد له رسول الله من الولاء ، وحبب المساكين ، وأعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك فى القضاء ، وحكمك بالهوى .

قال :

— ها ، أنت عليا ؟

— كيف رايته ؟

قالت :

— رايته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي

قال :

نسفتك .

قال :

— فهل لك حاجة تقضيها ؟

قالت :

— او تفعل اذ سألتك ؟

قال : نعم .

قالت :

— تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها .

— تصنعين بها ماذا ؟

— اغدو بألبانها الصغار ، واستحيى بها الكبار ، واكنسب بها المكارم ،  
واصلح بها بين العشائر .

— فان اعطيتك ذلك فهل احل عندك محل على بن ابي طالب .

— سبحان الله ! او دونه .

فأنشأ يقول :

اذا لم اعد بالحلم منى عليكم

فمن ذا الذي بعدى يؤمل للحلم ؟

خذيها هنيئاً واذكري فعل ما جد

جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : والله لو كان على حيا ما اعطاك منها شيئاً .

قالت : لا والله ولا يرة واحدة من مال المسلمين ! !

قال على عليه السلام : ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وان الآخرة قد  
ارتحلت مقبلة ، ولكل واحدة منها بنون ؛ فكونوا من ابناء الآخرة ، ولا تكونوا

من ابناء الدنيا . الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطا ، والتراب فراشا . والماء طيبا . الا من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن اشفق من النار رجع عن الحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، الا ان الله عبادا كمن راي اهل الجنة في الجنة مخلصين ، واهل النار في النار معذبين : شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وانفسهم عفيفة ، وحوادثهم خفيفة . صبروا اياما قليلة لعقبى راحة طويلة . اما بالليل فصافوا اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون الى الله : ربنا ربنا ؛ يطلبون فكاهة رقايبهم ؛ واما بالنهار فحلمااء علماء ، بررة اتقياء ؛ كأنهم القداح ، ينظر اليهم الناظر فيقول : مرضى ! وما بالقوم مرضى ، ويقول : خولطوا ! وقد خالط القوم امر عظيم ! !

\* \* \*

أوضح الإسلام طبيعة العلاقة بين الحاكم والشعب ، ووضع الأساس المكين للدولة ديمقراطية روحية ، تمتزج فيها الفكرة الديمقراطية الحقسية بالروح الديني ، وتقوم فلسفتها على أساس الاعتناء بوحداية الخالق ، وبكرامة الانسان والمساواة الكاملة بين أفراد الشعب في الحقوق والواجبات .

وقد حدد الامام على بن ابي طالب مهمة الحاكم في الرسالة التي بعث بها الى مالك بن الحارث الاشر حين ولاء مصر بانها : جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها ، وأمره بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه ، من فرائضه ، وسنناته التي لا يسعد احد الا باتباعها ، ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها ، وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، فانه جل شأنه ، قد تكفل بنصر من نصره ، واعزاز من اعزه .

وأمره ان يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات (١) ، فان النفس امارة بالسوء ، الا ما رحم الله .

ويفصل الامام ما اجمل ، فيبداً برسم الخطوط الرئيسية لشخصية الحاكم المسلم ، وسلوكه وضلته بالناس ، يقول الامام لواليه :

« املك هوالك وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فان الشح بالفساد الانصاف منها فيما احبت او كرهت . واشعر قلبك الرحمة للرمية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكون عليهم سبعا ضاربا تغتنم اكلهم فانهم صنفان : اما اخ لك في الدين ، او نظير لك في الخلق ، فأعظمهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فانك فوقهم ، ووالى الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك ! وقد استكفأك (٢) امرهم ، وأبتلاك بهم ، ولا تنصب نفسك لحرب الله (٣) فانه لا يد لك نقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته .

ولا تندمن على عفوه ، ولا تبجحن - أى لا تفرحن - بعقوبته ، ولا تسرعن

(١) يزعها : أى يكفها من مطامعها اذا جمعت عليه فلا تقاد الا لقائد العقل الصحيح والشرع الصحيح .

(٢) استكفأك : طلب منك كفاية أمرهم وإقيام بديبر مصاصهم .

(٣) أراد بحرب الله مخالفة شريعته بالظلم « ولا يد لك بنقمتك » أى ليس لك بد تدفع نقمته - أى لا طاقة لك بها .

الى بادرة وجدت منها مندوحة . ولا نقول انى مؤمر - اى مسلط - فاطاع  
فان ذلك اوغال - افساد - فى القلب ، ومنهكة للدين ، وتقرب من الغير .

اياك ومساماة الله فى عظمتة ، والتشبه به فى جبروته ، فان الله يذل كل  
جبار ، ويهين كل مختال .

انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه  
هوى من رعبتك .

وليكن احب الامور اليك وسطها فى الحق ، واعمها فى العدل واجمعها  
لرضى الرعية ، وانما عماد الدين ، وجماع المسلمين ، والعدة للاعداء العامة  
فى الامة ، فليكن صفوك لهم ، وميلك معهم .

وليكن بعد رعبتك منك واشنائهم - ابغضهم - عندك اطلبهم لمعائب  
الناس ، فان فى الناس عيوباً ، والوالى احق من سترها ، واطلق من الناس  
عقدة كل حقد ، ولا تعجلن الى تصديق ساع ، فان الساعى غاش وان تشبهه  
بالناصحين .

ولا تدخن فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل - اى الاحسان -  
بالبل - ، ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الامور ، ولا حربصاً يزين  
لك الشدة بالجور ، فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى ، يجمعها  
سوء الظن بالله !

ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيراً ، ومن شركهم فى الاتام فلا  
يكون لك بطانة فانهم اعوان الائمة واخوان الظالمة . وليكن اثر اعوانك عندك  
اقولهم بمر الحق لك ، والصق بأهل الورع والصدق ، ثم رضهم على  
الا يطروك (١) ، ولا يبججوك (٢) بباطل لم تفعله ، فان كثرة الاطراء تحدث  
الزهو وتدنى من العزة .

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، واعلم انه ليس شىء  
باوعى الى حسن ظن راع برعبته من احسانه اليهم ، وتخفيفه المؤونات  
عليهم .

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدر هذه الامة ، ولا تحدث سنة  
تضر بشىء من ماضى تلك السنة ، واكثر مدارس العلماء ، ومناقشة  
الحكماء فى تثبيت ما صلح عليه امر بلادك .

(١) رضهم : اى عودهم على ان لا يطروك - اى يريدوا فى مدحك .

(٢) ولا يبججوك : اى يفرحوك بنسبة عمل عظيم اليك ولم تكن فعلته

بهذا يرسم الامام على بن ابي طالب صورة واضحة للحاكم الصالح في شخصه وما يجب عليه ان يكون موقفه من الشعب ، والصفات التي ينبغي ان يتطلبها في وزرائه ومستشاريه . ثم يوضح الامام بعد ذلك الفئات التي يتكون منها المجتمع ، وحق كل منها من عناية الحاكم ورعايته فيقول :

« واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض : فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة (١) . ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الدمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار واهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة ، وكل قد سمي الله له سهمه - اى نصيبه من الحق - ووضع على حده فريضة في كتابه او سنة نبه - صلى الله عليه وسلم - عهدا منه عندنا محفوظا .

ويفصل الامام على كرم الله وجهه ما اجمل في هذا التقسيم ، فيوضح الدور الذي تقوم به كل فئة من هذه الفئات في حياة المجتمع ، وما به صلاحها ، ويبين المزالق التي يمكن ان تنحرف اليها اى واحدة منها اذا هضمت حقوقها ، او اسيئت معالجة شئونها ، او اختير اقيادتها من لا يصلح لها ، او شعرت باختلال ميزان العدالة فيها

والامام في تصويره لاحوال هذه الفئات يصدر عن عقل راجح ، وبصيرة نافذة في احوال النفوس ، وفي علاقات الجماعات ، وتعرض...ها للصلاح والفساد ، فهو في توجيهه للوالى في امر القضاء يقول :

اختر للحكم بين الناس افضل رعيته في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تحكمه (٢) الحظوم ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر - اى لا يضيق صدره - من الفء الى الحق اذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم دون اقصاه وأوقفهم في الشبهات واخذهم بالحجج ، واقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، واصبرهم على كشف الامور ، واصبرهم عند انضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء .

ثم اكثر تعاهد قضائه ، وأفسح له في الليل ما يزيل غلته ، وتقل معه

---

(١) كتاب : جمع كلاب . والكتبه منهم حاملون للعامة كالحاسبين في المعتاد لشئون العامة كالخراج والمظالم ، ومنهم مختصان بالمحاكم يفضى اليهم بأسراره ، وبوليهم النظر فيما يكتب لاوليائه وامداله ، وما يقرر في شئون حريه وسلمه مثلا .  
(٢) امحكه : جملة محكان ، اى من الخلق ، او اغفبه .

حاجته الى الناس ، واعطه المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيرك من خاصتك  
ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك .

فاذا ما جاء الى سُئون التجار وذوى الصناعات اوصى بهم خيرا ، وبين  
له الدور الايجابى الذى يقومون به لخدمة المجتمع ، ثم حذره من انحراف  
بعضهم فقال :

« ثم استوصى بالتجار وذوى الصناعات واوصى بهم خيرا : المفيد  
والمضطرب (١) بماله والمترفق ببذنه ، فانهم مواد المنافع . »

واعلم .. مع ذلك - ان فى كثير منهم ضيقا فاحشا ، وشسحا قبيحا  
واحتكارا المنافع ، وتحكما فى البياعات ، وذلك باب مضره للعامة ، وعيب  
على الولاة ، فامنع فى الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وسلم - منع  
منه . وليكن البيع بيعا سمحا ، بموازين عدل ، واسعار لا تجحف بالفريقين  
من البائع والمبتاع - اى المشتري - فمن فارف حكره بعد نهيك اياه فنكل  
به . وعاقبه فى غير اسراف . »

ويوجه الامام على عناية خاصة الى الطبقة المحدودة الدخل او العاجزة  
عن الكسب فيقول :

ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين  
والمحتاجين من اهل البؤس والزمنى (٢) فان فى هذه الطبقة قانعا - اى  
سائل - ومعتزا - اى المتعرض للعطاء بلا سؤال - واحفظ الله ما استخفظك  
من حقه عليهم واجعل لهم قسما من بيت مالك ، وقسما من غلات صوافى  
الاسلام - اى ارض الغنيمه - فى كل بلد ، فان للاقصى منهم مثيل الذى  
للأدنى ، وكل قد استرعيت حقه .

فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصعر خدك لهم ، وتفقد امور من لا يصل  
اليك منهم ممن تقتحمه العيون - اى تكره ان تنظر اليه احتقارا - وتحقره  
الرجال ، ففرغ لأولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع ، فليرجع اليك  
امورهم ، ثم اعمل فيهم بالاعداد الى الله يوم تلقاه ، فان هؤلاء من بين  
الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم ، وتعهد اهل اليتيم وذوى الرقة فى  
السن - اى المتقدمون فيه - ممن لا حيلة له ، واجعل لذوى الحاجات منك

---

(١) المضطرب : المتردد بأمواله بين البلدان ، والمترفق : المكتسب .

(٢) الرمنى : جمع رمين ، وهو المصاب بالرمانة اى العاعة يريد ارباب العاهات المانعة  
لهم عن الاكتساب .



قسما نفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذى خالقك ، وتبعد عنهم جندك واعوانك من حراسك ، وشرفك حتى يكلمك متكلهم غير متمتع - اى غير خائف - فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى غير موطن : « لن تقدر امة لا يؤخذ للضعف فيها حقه من القوى غير متمتع » .

ويتحدث الامام بعد ذلك الى عامله فى امور عامة ، تعين الحساكم على النجاح : منها ان يحرص على اصدار حاجات الناس يوم ورودها : وان يعضى لكل يوم عمله ، فان لكل يوم ما فيه ، وان يجعل لنفسه فيما بينه وبين الله افضل تلك المواقيت وان كانت كلها لله اذا صلحت النية وسلمت الرعية والا يطيل احتجاجه عن الرعية فان احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالامور ، وان يحول بين بطانته وخاصته وبين ما يحرفون اليه من استئثار وتناول وانصاف فى معاملة ، وان يظهر للرعية بقدره ان ظنت به حيفا ، والا يدفعن صلحا وعاه اليه عدوه والله فيه رضا ، وان يحذر مع ذلك كل الحذر من عدوه بعد صلحه . وان يحوط عهده بالوفاء ويرعى ذمته بالامانة ، وان يبرىء نفسه من الاعجاب بها ومن حب الاطراء وان يتحاشى المن على الرعية بالاحسان والعجلة بالامور قبل اوانها والتسقط - اى التهاون - فيها عند امكانها ، او اللجاجة فيها اذا تنكرت، او الوهن عنها اذا استوضحت » .

هذه الرسالة تترجم روح التعاليم الاسلامية فى الحكم والادارة الى دستور واضح محدد المعالم ، وتنبع من المعين الاول الذى فجرته آيات القرآن المجيد وسنة الرسول الكريم .

لما حضرت الوفاة الامام على بن ابي طالب اوصى ، فكانت وصيته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اوصى به على بن ابي طالب ، اوصى انه يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان مجمدا عبده ورسوله ، ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . ثم ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين ؛ ثم اوصيك يا حسن وجميع ولدي واهلي بتقوى الله ربكم ، ولا تموتن الا وانتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فاني سمعت ابا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « ان صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام » . انظروا الى ذوى ارحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب ، الله الله في الأيتام ، فلا تعفوا افواههم ، ولا يفيض بحضرتكم . والله الله في جيرانكم ، فانهم وصية نبيكم صلى الله عليه وسلم ، مازال يوصي به حتى ظننا انه سيورثه ، والله الله في القرآن . فلا يسبقنكم الى العمل به غيركم ، والله الله في الصلاة ، فانها عمود دينكم ، والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم ، فانه ان ترك لم ينساظر . والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وانفسكم . والله الله في الزكاة ، فانها تطفئ غضب الرب ، والله الله في ذمة نبيكم ، فلا يظلمن بين اظهركم ، والله الله في اصحاب نبيكم ، فان رسول الله اوصى بهم ، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم ، والله الله فيما ملكت ايماكم . الصلاة الصلاة . لا تخافن في الله لومة لائم ، يكفيكم من ارادكم وبغى عليكم . وقولوا للناس حسنا كما امركم الله ، اولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم . وعليكم بالتواصل ، والتبازل ، واياكم والتدابير والتقاطع والتفرق وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب . حفظكم الله من اهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم ، استودعكم الله ، واقرا عليكم السلام ورحمة الله . »

لما استشهد على عليه السلام . في شهر رمضان سنة اربعين من الهجرة - قام الحسن بن علي رضي الله عنه خطيبا . فقال :

« لقد قتلتم الليلة رجلا في ليلة فيها نزل القرآن ، وفيها رفع عيسى بن مريم عليه السلام ، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام

والله ما سبقه احد كان قبله ، ولا يدركه احد يكون بعده ، والله ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعثه في السرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء الا ثمانمائة - او سسعمائة - ارصدها اخادمه !! » .

وحين علمت السيدة عائشة رضى الله عنها بموت على بن ابي طالب ذهبت الى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فأخذت بعضاداتى الباب وقالت :

« السلام عليك يا رسول الله .. انا ناعية اليك احبابك ، وذاكرة لك اكرم اودائك عليك ، قتل والله حبيبك المجتبى ، وصفيك المرتضى ، قتل والله من زوجته خير النساء ، قتل والله من آمن ووفى ، وانى لناوية ثكلة ، وعليه باكية حراء .. » .



حسنة بن عبد المطلب

أسد الله وأسد رسوله



كان عبد المطلب بن هاشم من اشراف قريش ، ولكنه يمتاز عن قومه بالكثير من الوفاق وميل الى الدين ، يعظم ما كان قومه يعظمون من تلك الالهة ، ولكن عن اخلاص وصدق . وقد اتبعت له اشياء زادت امتيازاً عن قومه ، فهو قد احتقر بشر زمزم .

وهو لم يحتقرها من ذات نفسه ، وانما رأى في المنام من يأمره باحتقارها وحدد له مكانها ، فأقبل على صنع ما أمر به حتى اتته .

وقد وجد كنزاً في أثناء احتقار البشر قبل ان يصل الى الماء فنازعته فيه قريش فجعله للكعبة ، ولم يأخذ هو ولا غيره منه شيئاً . ثم انبعث الماء فنازعته فيه قريش ترى ان البشر لها ويرى هو انها له لانه احتقرها بيده وانبعث ماءؤها بجهد وكده .

وامعنت قريش في الخصومة ، حتى اجعوا رايهم على الاحتكام الى احد الكهان فافقدوا مع عبد المطلب وفداً يخاصمونهم الى ذلك الكاهن ، غير انهم لم يحتسبوا الى هذا الاحتكام لان آية ظهرت لهم في الطريق اقنعهم ان عبد المطلب ليس كاذباً ولا متكلفاً .

وفي أثناء هذه الخصومة شعر عبد المطلب انه وحيد ليس له من ولد ينصرونه فتدر لئن رزق عشرة منهم ليقربن احدهم الى الالهة .

وقد رزق عشرة من الولد ، فاراد ان يقرب احدهم ، وهم بذلك ولكن قريشاً رفضت ذلك ، وما زالت به حتى اقنعت بان يقرع بين ابنه وبين عشرة من الابل فجعل كلما اقرع خرج السهم على ابنه حتى بلغت الابل مائة فقربها الى الالهة ونجا ابنه ذاك الفتى عبد الله ، على ان عبد الله الذي اقتداه أبوه بالابل فأغلى في الفداء لم يمر طويلاً ، وانما زوجه أبوه آمنة بنت وهب ثم أرسله للتجارة في الشام ، فذهب ولم يعد أدركه الموت يثرب في عودته وقد ولد له بعد موته صبي هو الذي اختار الله تعالى ليأتي الانسانية بدين الحق .

وقد توفي عبد الله وحمزة بن عبد المطلب في السادسة من عمره . فشب وهو يسمع من اهله اخبار اخيه الذي عصفت به يد المنون وهو في ريعان الشباب على صورة محزنة في يثرب بعيداً عن اهله وزوجه . فلما بلغ حمزة مبلغ الإدراك كان من ارق الناس لابن أخيه اليتيم ، وكان يؤثره بالحب

والمودة لما رأى منه كرم خلق ، وصفاء نفس ، وتقاء قلب ، فجمع الله بين قلوبهما برباط قوى متين .

كان حمزة بن عبد المطلب يكبر محمدا بأربع سنوات ، فلم تكن الصلة بينهما صلة العم بابن أخيه بل صلة الصديق بالصديق . وقد ترعرعا معا ، وكان الهمما مشتركا لما مات عبد المطلب . فقد ذاق حمزة مرارة أول يتم ، أما محمد فقد تجرع في صمت مرارة الألم للمرة الثانية ، فبقيته بمحمد عبد المطلب كان أقسى من يتمه بعد أمه . وقد جمع اليتيم بين قلوبهما . وقد انصرف محمد منذ السن الباكورة الى ما هيأه الله له من الرعى والتجارة ، في حين انصرف حمزة الى تلقى العلم ليكون سيدا من سادات بنى هاشم ، وقد كان جل بنى هاشم يجيدون القراءة والكتابة .

كان محمد يصطفى حمزة ، ويفضى اليه بذات نفسه قبل أن ينزل عليه الوحي ويبعثه الله نبيا للعالمين . ولما عرضت السيدة خديجة بنت خويلد نفسها على محمد ليتزوجها ، كان حمزة أول أهله سعيا في اتمام هذا الزواج ولما كانت خديجة تفوق نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، كان كل قومها حريصا على الزواج منها لو يقدر عليه . قد سر ذلك حمزة ، وشرع يعين محمدا عليه ، فخرج معه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها اليه وظل بعد ذلك صديقا له وصفيلا لا يكاد محمد يفعل شيئا حتى يحدث فيه حمزة . ومضت الأيام في طريق الزمن ونزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء ، يأمره بالدعوة في الاسلام . وقام محمد رسول الهدى بأداء الرسالة ، يدعو الناس الى نبد عبادة الاوثان ، والايمان بالله الواحد القهار ، يلقي الاثرا ونكرا من الدين ران على قلوبهم وغشيت ابصارهم عن الحق . ولكنه مضى في الدعوة الى الدين الجديد لم يهن ولم يضعف . وبينما كان الرسول الأعظم يعمل جاهدا على نشر الدعوة ، ويتعرض للاذى ، كان حمزة سادرا في لهوه البريء من الصيد .



كان محمد صلى الله عليه وسلم يتخذ لنفسه بين الحين والحين مجلسا عند الصفا يدعو الناس فيه الى دين الحق ، ويجادلهم بالتى هى احسن ، فاذا لم يجتمع اليه لجد انفرد بنفسه يتأمل فى خلق السموات والارض ، ويفكر فى شأنه . وبينما هو جالس ذات يوم مر به أبو جهل ، فراح يسب من سفه ! حلامهم وعاب دينهم ، ثم صب التراب على راسه وجارية من دار عبد الله بن جدعان تسمع وتنظر .

وانصرف أبو جهل الى نادى قريش وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ان ينبس بكلمة .

وظلت مولاة عبد الله بن جدعان تسرح الطرف فيما حولها ، حتى اذا ما رأت حمزة بن عبد المطلب مقبلا متوشحا بسيفه راجعا من قنصه متجها الى الحرم ليطوف بالبيت قبل ان يعود الى اهله ، تأهبت لتقص على حمزة ما كان بين أبى جهل ومحمد بن عبد الله .

ومر عليها حمزة فقالت له :

— يا ابا عمارة لو رايت ما لقي ابن اخيك محمد من أبى الحكم بن هشام ! وجده ها هنا جالسا فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد .

فسار حمزة نحو الحرم وهو حائق . وما كاد يقطع فى الطريق خطوات حتى لحقت به مولاة أخته صفية بنت عبد المطلب وقالت له :

— ان ابا الحكم بن هشام صب التراب على رأس محمد وألقى عليه قرمحا !!

فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى ابا جهل جالسا فى القوم ، فاقبل نحوه حتى قام على راسه ورفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ، ثم قال :

— أتشتمه ؟ فانا على دينه أقول ما يقول ، فرد على ذلك ان استطعت . فقال أبو جهل :

— سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا .

فالتفت حمزة الى القوم وقال فى حدة :

— ومن أسفه منكم ؟ تعبدون الحجارة من دون الله . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

فقامت رجال من بنى مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل فقالوا :  
— ما نراك الا قد صبات !

— وما يمنعني وقد استبان لي منه .. أنا أشهد أنه رسول الله وأن الذي يقول حق ، والله لا أنزع فامنعوني ان كنتم صادقين .  
فقال لهم أبو جهل :

— دعوا أبا عماره ، فاني والله قد أسمعت ابن أخيه شيئا قبيحا .  
ورجع حمزة الى بيته وراح يفكر فيما كان بينه وبين أبي جهل ، انه ثار لابن أخيه وأعلن اسلامه في نوبة من نوبات غضبه ، فراح الشيطان يوسوس له :

— « أنت سيد قريش ، اتبعت هذا الصائب وتركت دين آبائك . الموت خير لك مما صنعت » . واستشعر الرجل الشجاع الذي لا يخشى الردى خوفا يلفه وحيرة تكتنفه ، وحاول أن ينام ولكن لم يطف الكرى بعينه ، انه في قلقه وأرقه ، وفي جوف الليل ، راح يبتهل الى الله في حرارة :

— اللهم ان كائن راشدا فاجعل تصديقه في قلبي ، والا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا .

وراح حمزة يفتدو ويروح في الغرفة يحاول أن يستفتي قلبه مرة ، ويصيح سماعه الى همزات الشيطان مرة . وابتهل الى الله مرات أن يدركه برحمته ويلقى في عين بصيرته نورا يرى به الصراط المستقيم . انه أقر على المأبوحانية الله ورسالة ابن أخيه . وقد كان أعلنا حركته عصبية لأبي القاسم أخيه في الرضاعة ، وابن أخيه ورفيق الصبا والشباب وحبيب الفؤاد ، الا انه لما خلا بنفسه قامت هواجسه تهاجمه في قسوة . وعنف ، وراح ينقب عن جوهر الحقيقة ، فما كان يحب أن يخدع نفسه ، أو أن يكون منافقا في عين ذاته ، انه يبغى الحق ولا شيء غير الحق .

وبات حمزة بليلة لم يبت بمثلها ، راح فيها يستعرض حياة ابن أخيه فلم يجد فيها مثلبا ، فهو الأمين الذي لم يجرب عليه الكذب قط ، انه لم يكذب على الناس أو يكذب على ربه ؟

انه يحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه ، له نور يعاوه كان الشمس تجرى في وجهه ، قد اوتى الحكمة . قد خرج من سلطان نفسه فلا يغضب لها بل يغضب للحق . انها صفات لا تجتمع الا في انسان يعد لرسالة عظمى ، وان ابن عبد الله كفاء لحمل اعظم رسالة .

ولما أسفر الصباح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

— يا بن أخى انى قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه ، واقامة مثلى على ما لا أدري أرشد هو أو غى شديد

وقص على ابن أخيه قصته ، فراح محمد صلى الله عليه وسلم يذكره ويعظه ويخوفه ويبشره ويتلو عليه القرآن . وحمزة مأخوذ بما يسمع يستشعر كأن أسجافا ترتفع عن قلبه وأن نورا يشرق في عين ذاته وأن حديث رسول الهدى يرتفع به عن عالمه المحدود الى عوالم من الرفة والسمو والنور .

والقى الله في قلبه الايمان فقال في فرح :

— أشهد أنك لصادق ، فأظهر يا بن أخى دينك .

وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام فارس قريش سرورا عظيما ، فقد أعز الله الاسلام بأشد قريش شكيمة ، وأحس أن الام الاضطهاد الذى تحمله سنوات طويلة قد اثمرت خير ثمرة . فبات يرحب بكل عذاب وشدة وهو على ثقة من أن الله سيتم نوره ولو كره الكافرون .

وانزل الله تعالى فيما كان من حمزة رضى الله عنه وأبى جهل :

« أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك نبين للكافرين ما كانوا يعملون . وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون . واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسول الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون . فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء . كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون . وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون »

كان اسلام حمزة بداية عهد جديد في تاريخ الدعوة الاسلامية ، فقد بدأت قلوب بنى عبد المطلب ترنو الى محمد وتطالع بقية قريش العداوة . ولم يشد عن اجماعها في تأييد محمد ونصرته الا ابو لهب بن عبد العزى ، وكان خامل التفكير ، ضيق الصدر وكان يقول : يعدنى محمد أشياء لا اراها . يزعم انها كائنة بعد الموت . فماذا وضع فى يدي بعد ذلك ؟ ثم ينفخ فى يديه ويقول : تبأ لكما ما ارى فيكما شيئاً مما يقول محمد ! وكان يجد نفسه سعيداً اذ تؤكد له امرأة مثل هند بنت عتبة انه نصر اللات والعزى بهذا الجهل المطبق .

وبدأ الخوف يسرى فى قلب قريش لهذا الموقف الذى يقفه بنو عبد المطلب منها بعد اسلام حمزة ، واخذت سادات قريش يتمثلون الخطر الزاحف من جراء هذا الانفصال ، ولم يعد فى امكانهم أن يستصغروا أمر محمد أو يمدوا عليه بالسخرية والمهانة كما كانوا يفعلون ، لانهم أصبحوا يخشون غضب حمزة وامثاله من الرجال الصناديد الذين حفلت بهم الدعوة الاسلامية .

وأوفدوا له عتبة بن ربيعة ، فقال للرسول صلى الله عليه وسلم :  
- يا ابن أخى ، انك منا حيث قد علمت من الشرف فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ، ودينهم وكفرت به من مضى من آياتهم .  
فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر منها لعلك تقبل منها بعضها .  
فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :  
- قل يا أبا الوليد اسمع .  
قال :

- يا ابن أخى ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا تقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا . وان كان هذا الذى يأتيك رثيا (١) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع (٢) على الرجل حتى يمارى منه .

(١) الرلى : ما يترادى للانسان من الجوى .

(٢) التابع : من يتبع من الجوى

حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال :

— اقد فرغت يا ابا الوليد ؟

قال : نعم .

قال : فاسمع منى

قال : افعل

فقال الرسول :

— « بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب  
فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم  
لا يسمعون وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه (١) . . ثم مضى الرسول  
الكريم فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة انصت لها وألقى يديه  
خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه ، ثم انتهى الرسول الكريم الى السجدة  
منها فسجد . ثم قال :

— قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

فقام عتبة الى اصحابه ، فقال بعضهم لبعض :

— نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به .

فلما جلس اليهم قالوا :

— ما وراءك يا ابا الوليد !

قال :

— ورائى اتى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو  
بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . يا معشر قريش ، اطيعونى وأجعلوها بى،  
وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكون لقوله الذى  
سمعت منه نبأ عظيم ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر  
على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم اسعد الناس به .

قالوا :

— سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه .

---

(١) سورة فصلت .

قال :

— هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

\*\*\*

أخذ الاسلام ينتشر بمكة في قبائل قريش من الرجال والنساء . كانت فاطمة بنت الخطاب وزوجة سعيد بن زيد قد أسلمت ، وأسلم بعدها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما عن عمر بن الخطاب . وعرف عمر أن اخته وزوجها قد أسلما فذهب الى بيتهما ، وحين اقترب من البيت سمع خباب بن الارت يقرأ القرآن ، فلما دخل عمر قال :

— ماذا اسمع ؟

قالا له : ما سمعت شيئا .

قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه .

ويطش بزواج اخته سعيد بن زيد ، فقامت اليه اخته فاطمة لتكفه عن زوجها فضرها فشجها . فلما فعل ذلك قالت له أخته وزوجها :

— نعم ، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما تريد .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى ، وقال لاخته :

— اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتمكم تقرأون آتفا ، انظر ما هذا الذي جاء به محمد ، فلما قرأ عمر صدرا من سورة طه ، قال :

— ما أحسن هذا الكلام وأكرمه .

فلما سمع ذلك خباب خرج اليه ، فقال له :

— يا عمر ، والله انى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فانى سمعته أمس وهو يقول : « اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام ، أو بصهر بن الخطاب » فوالله الله يا عمر .

فقال له عمر :

— دلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم ،

فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا ، معه نفر من أصحابه .

فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ف ضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب الرسول فنظر من ثقب الباب فرآه متوشحا سيفه ، فرجع الى الرسول وهو فزع خائف ، فقال :

— يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف .

فقال حمزة بن عبد المطلب :

— فاذن له ، فان كان يريد خيرا بلدناه له ، وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه .

فقال الرسول :

— ائذن له .

فاذن له الرجل ، ونهض الرسول حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ يجمع ثوبه ثم جذبه جذبة شديدة ، وقال :

— ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة .

فقال له عمر :

— يا رسول الله ، جئتك لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب الرسول ان عمر قد اسلم ، ففترق أصحاب الرسول من مكانهم . وقد عزوا في انفسهم حين اسلم عمر مع اسلام حمزة وعرفوا انهما سيمنعان الرسول ، وينتصفون بهما من عدوهم .

ولكن بنو عبد الدار لم يكن يرضيهم هذا ، اذ كانوا سادة - قريش ، يحسدون بنى عبد المطلب على ما عسى أن يكون لهم من المكانة الرفيعة بهذا الرجل الذى نبغ فيهم وكانوا اذكياء لا يكاد يفوتهم صدق ما يدعو اليه محمد وخطره ، فأخذوا يجمعون صفوفهم ، ويثيرون من استطاعوا من بطون قريش ، ومضوا يجادلون محمدا يريدون أن يصرفوا الناس عنه بالمنطق كما كسبهم الى دعوته بالمنطق فلم يفلحوا ، وزاد الاسلام انتشارا ، ثم كان اسلام عمر بن الخطاب وما اعقبه من اشتداد اذى قريش للمسلمين ، فكان حمزة وعمر درعى الرسول يردان عنه الباغي .

مضى على الاسلام اربعة عشر عاما والرسول الأعظم في مكة بين اعداء

الحق ، ومعه على بن ابي طالب وابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وحمزة بين عبد المطلب . واما باقى الصحابة فقد تركوا درياهم وعشيرتهم وهاجروا الى الحبشة او المدينة حيث الامن والهدوء . وكان الموقف حرجا ، فأعداء الحياة الجديدة الطاهرة التى يدعو اليها محمد يتآمرون على الرسول ، وطلب ابو بكر من الرسول الخروج الى المدينة فأجابه الرسول بأن الله لم يأمر بذلك بعد . واجتمع المتآمرون فى دار الندوة للتشاور فيما يصنعونه بمحمد رسول الهدى ، فاقترح بعضهم أن يحبس فى الحديد ، وان يفلقوا عليه بابا ثم يربصون به ما اصاب الشعراء الذين كانوا قبله ، ولكن هذا الراى لم يلق سمعا ، فقال آخر : نخرجه من بين اظهركم وننفية من بلادنا ، ثم لا نبالى بعد ذلك من امره شيئا ، ولكنهم خافوا ان يلحق بالمدينة ، فيحرض اهلها عليهم ، بما له من قوة الاقتناع ، فيقصدهم ويبطشوا بهم . واقترح ابو جهل ان يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جليدا ، وان يعطوا كل فتى سيفا بئارا ، فيضربوه جميعا ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه بين القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف على قتالهم جميعا ، فيرضون بالدية ، وتستريح قريش من هذا الذى بدد شملها ، وفرق قبائلها شيئا ، فاستقر رأيهم على هذا الاقتراح بالاجماع .

وبينما كانت قريش تأتمر بالرسول الأعظم ، نزل عليه الوحي ، واخبره بما يدبر نه وامره ألا ينام فى فراشه تلك الليلة . فأرسل الى على بن ابي طالب كرم الله وجهه وأسر اليه أن ينام فى فراشه . وامره أن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس ثم يلحق به .

وفى المدينة المنورة أخى محمد رسول الهدى بين حمزة بن عبد المطلب وبين مولاة زيد ، فكان حمزة فخورا بأخيه هذا ، وكان هذا آية من آيات الاسلام ، الذى يقرر ان الناس سواسية كأسنان المشط . ولو قد تطلع مولى الى اخوة حمزة فى الجاهلية لعد حمزة ذلك مهانة لا يكاد يحوها دم ، ولكن الاسلام نور . والنور اذا ملأ القلوب أزال نوازع الجهل والعصبيّة جميعا .



## — { —

استقر أمر الرسول في المدينة ، وآتاه الله من عون أهلها ونصر من هاجر إليها من أهل مكة ما مكنه من السير بحكومتها وأهلها في الطريق السوى ، حتى إذا استقر أمر الإسلام ، واطمأن الرسول على المؤمنين ، وجد الفرصة سانحة ليبدأ مع قريش ذلك الصراع العنيف الذي انتهى بنصر الإسلام وانتشاره في الجزيرة العربية كلها .

وهنا أتاحت الفرصة لحمزة بن عبد المطلب للعمل . وكان حمزة فارسا شجاعا لا يرهب القتال ، ومحاربا قويا . وكان قد لبث ينتظر الفرصة المواتية طوال فترة الدعوة السلمية الماضية ، فلما آن الأوان للإسلام لينتقل إلى دور جديد ، دور الكفاح الإيجابي حان الوقت ليفيد من حمزة .

وكان الرسول الأعظم يعرف من هم رجاله ، وما هي الملكات التي يتمتعون بها ، ولذلك عهد إلى حمزة قيادة أول سرية إسلامية ، فكان حمزة بهذا أول قائد مسلم ، وأول سلسلة طويلة من القادة العظام الذين حملوا لواء الإسلام جيلا بعد جيل ، ومضوا بالعقيدة الكريمة موفقة منصور في مشارق الأرض ومغاربها .

عقد الرسول أول راية في الإسلام لفارس قريش حمزة بن عبد المطلب ، وأمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعترضوا عمرا لقريش عائدة من الشام . وكان الرسول يهدف من هذه « الدورية » المسلحة التي عرفت باسم « السرية » مجرد الاستطلاع وأشعار قريش بقوة المسلمين وتأهبهم لنضال خصومهم . وكان الرسول يتوقع أن يدفعهم حرصهم على أموالهم إلى أن يفهموا أن مصلحتهم تقتضيهم التفاهم مع أهلهم الذين هاجروا إلى المدينة تفاهما يقي الطرفين شر العداوة والبغضاء ويكفل للمسلمين حرية الدعوة إلى الإسلام والحج إلى البيت العتيق ويضمن لأهل مكة في نفس الوقت سلامة تجارتهم وأموالهم في طريقها إلى الشام .

بعث الرسول حمزة في هذه السرية ليلقي رأس المعاندين أبا جهل بن هشام عند العيص من شاطئ البحر لعل أبا جهل يرتدع عن غيه ، ويكف عن هذا السفه الذي كان لا يزال يلقي به المسلمين قبل الهجرة ، وهذه القسوة التي يعامل بها من بقي منهم في مكة بعد هجرة الرسول إلى المدينة . ومما لا شك فيه أن الرسول لم يكلف حمزة القتال ، ولو أمره به لقاتل فلم يكن حمزة بالذي يخشى ثلاثمائة قرشي أيا كان العدد الذي معه قليلا ، اكتفى بارهاب أبي جهل وقريش معه . وقبل وساطة مجدي بن عمر الجهنى وعاد إلى المدينة .

لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم داعية حرب ، بل كان داعية سلام .  
كانت دعوة الرسول سلمية رفيقة لأنها حق ، وللحق مع هدوئه صولة  
تبدو مشرقة رحيمة ولكنها لقيت خصومة باطلة عنيدة .

وبدا الصراع بين الحق والباطل .. بين الهدى والضلالة .

ومضت قريش في اضطهادها للمسلمين ، فوقفت عقبة في سبيل نشر  
الدين ، ومنع المسلمين من الدخول الى مكة لاداء فرائض حجهم ، لذلك  
فكر الرسول في القيام بعمل ايجابي ضد مصالح قريش حتى تشعر بقوة  
المسلمين وتذرتهم على أن يحققوا بها الضرر لعل هذا العمل يكشف العصائب  
عن عيون قريش ، فترجع عن غيها ، ويدفعها الى محاولة التفاهم مع  
المسلمين . وكانت بداية الصراع خروج الرسول الأعظم لاعتراض قافلة  
كبيرة على رأسها أبو سفيان وهى في طريقها الى الشام ، ولكن الرسول لم  
يتمكن من ادراكها فأعد العدة للملاقاتها في أثناء عودتها . وحتى لا تغفلت  
القافلة عند عودتها ارسل الرسول طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد  
لاستطلاع أمرها ، فنزلا عند قبيلة جهينة بالحوراء وما كادت القافلة تمر  
بها حتى أسرعوا الى الرسول الكريم ليفضيا اليه بخبر القافلة .

وكان خبر خروج الرسول لاعتراض القافلة في رحلتها الى الشام قد  
انتشر بين الناس ، ووصل هذا الخبر الى أبى سفيان بن حرب وهو يقترب  
بقافلته في طريق الحجاز ، وحذره بعض الأعراب من احتمال المفاجأة عند  
بدر ، ولذلك عزم على طلب النجدة من أهل مكة . فبعث ضمضم بن عمرو  
الغفارى الى مكة ليستنفر قريشا ويخبرها بالخطر الذى يهدد قافلته .

وقد أبلغ ضمضم هذا الخبر الى قريش بطريقة مثيرة الهبت مشاعر  
الناس ، اذ قطع أذنى بعيره ، وجدع أنفه ، ودخل الى مكة وقد شق  
قميصه وأخذ يصيح :

— يا معشر قريش . اللطيمة ! اللطيمة ! أموالكم مع أبى سفيان قد  
عرض لها محمد في أصحابه لا أدري أن تدركوها أولا . الفوث . الفوث .

وانتهز أبو جهل هذه الفرصة لاستنفاد قريش لقتال المسلمين ، فمضى  
يخطب الناس عند الكعبة ويصيح في جموعهم كي يخرجوا لانتقاد قافلته  
وتقدم المسلمون من موقعهم بوادى زفران في طريقهم الى بدر ، وكانت

الأنبياء قد وصلتهم باقتراب قافلة أبي سفيان ، فلما وصلوا بدرا ، كانت القافلة قد فاتتهم ولم يعد هناك مناص من قتال جيش قريش . وارسل أبو سفيان الى قائد جيش قريش يقول له :

« انكم قد خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم واموالكم فقد نجاها الله فأرجعوا » .

ولقى هذا الرأي استجابة لدى كثير من رجال قريش ، ولكن ابا جهل ما كاد يسمع هذا القول حتى ثار ، ومار في قلبه الحقد الأسود الذي يكنه للرسول فصاح :

— والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليه ثلاثا ننحر الجذور ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزأون يهابونا ابدا بعدها .

وثار الخلاف بين رجال الجيش ، فريق يحبذ الرجوع الى مكة بعد نجاة القافلة ، وفريق آخر يرى أنه لابد من القتال . وانتهى الخلاف بعودة بنى زهرة فقط الى مكة وتحرك جيش قريش الى بدر ...

وعلى اثر قدوم المسلمين الى بدر تقدم الرسول صوب الماء ، حتى اذا جاء ادنى مكان منه نزل فقال الحباب بن المنذر :

— يا رسول الله اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه او نتأخره ؟ ام هو الراى والحرب والمكيدة ؟

فأجاب الرسول :

— بل هو الراى والحرب والمكيدة .

فقال الحباب :

— يا رسول الله ، ان هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى ادنى ماء من القوم فننزل ثم نفور ما وراءه من القلب ثم نبني حوضا ونملأه ماء فنشرب ولا يشربون ثم نقاتلهم .

ونفذ الرسول فكرة الحباب حين اتضح له صواب رايه .

خرج الاسود بن عبد الأسد المخزومي من صفوف المشركين . وقال يسخر من المسلمين :

— اعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأموتن دونه .

وكان الحوض من وراء المسلمين ، يحسب ان احدا منهم لن يجروا على الوقوف في طريقه ، وانه يخترق صفوفهم آمنا او كالآمن . فما هو الا ان يرمى من الصفوف حتى تقدم له فارس الاسلام حمزة بن عبد المطلب وضربه بالسيف ضربة قطعت ساقه ، فوقع على الأرض تقطر ساقه دما ، وبلغ به العتو ان اراد الزحف برغم ذلك حتى يصل الى الحوض ليهدمه ، فلم يمهله حمزة رضى الله عنه واجهز عليه . كل ذلك ورجال قريش ينظرون في ذهول الى هذا الرجل الشجاع حمزة ، الذى يقف كالأسد ، يدافع عن عقيدته في بطولة فذة . وبدا رجال قريش يفهمون ان الأمر جد لا هزل فيه . وان معركة رهيبة على وشك ان تقوم ، وليست المسألة نزهة جميلة يشرب فيها الخمر وتعزف القيان .

وخرج عتبة بن ربيعة سيد قريش واخوه شيبة وابنه الوليد ، يتحدثون المسلمين ليبرزوا لهم من يجروا على الخروج من رجالهم . فأراد بعض الأنصار الخروج لهم ، فرفضوا مبارزتهم في شيء من الصلف ، وابوا ان يبارزوا الا قريشيين . فندب الرسول عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن ابي طالب فبرزوا لهم .

ومشى عبيدة وكان اسن الثلاثة الى عتبة ، واتجه حمزة الى شيبة ، وبارز على الوليد ، ومد الجيشان الابصار وقد حبست الانفاس ، فالجولة الأولى كانت بين ابناء العم سادات عبد شمس وصناديد بنى هاشم . وغدت الدعوات ترفرف على شفاه المهاجرين والأنصار بعد ان ابتهلت بها الأفئدة التى عمرت بأنوار اليقين . فلو قتل عبيدة وحمزة وعلى في أول لقاء لكانت فاجعة الرسول فيهم تعز عن العزاء .

وكان أبو بكر الصديق ينظر خافق القلب وقد لفته رهبة ، بينما كان عمر ابن الخطاب يختلس النظرات الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يرصد القتال فيستشعر ثقل مرور اللحظات ويتمنى من كل وجدانه أن ينتصر رجال بنى هاشم ليسعد عليه الصلاة والسلام بنصر المسلمين ونجاة الأحياب .

ولم يمهل فارس قريش حمزة ان قتل شيبة فاشرقت وجوه المسلمين بالأمل وبسرت وجوه الكافرين ، وسرعان ما قتل على بن ابي طالب الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما اثبت صاحبه ، ووقعت الضربة في ركة عبيدة فأصاحت رجله وصار مخ ساقه يسيل ، ثم مال حمزة وعلى الى عتبة فقتلاه واحتملا صاحبهما فجراه الى اصحابه فأضجعوه

الى جانب موقعه فأفرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه ، فوضعه  
خده عليها وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

— الست شهيدا يا رسول الله ؟

— أشهد أنك لشهيد .

ودارت معركة رهيبة وتهاوت السيوف ، وهجم المسلمون هجمة المؤمن  
الصادق لا يكاد شيء يرده عن سبيله . وخرج الرسول الى الناس فحرضهم  
على القتال فقال :

— والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا  
محتسبا ، مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة .

وكان حمزة بن عبد المطلب قد علم نفسه بريشة نعامة ثبتها في صدره ،  
فكان طوال المعركة كالأسد الضاري لا يكاد يثبت في مكان ، لا يرى واحدا  
من كبار المشركين الا انقض عليه انقضا الصاعقة واجهر عليه ، ولا يرى  
واحدا من اخوانه المسلمين الا خف لنجدته واعانه على عدوه ، حتى روع  
المشركين بنجدته واوقع الرعب في قلوبهم .

روى عبد الرحمن بن عوف انه أسر امية بن الخلف وابنه واقتادهما الى  
صفوف المسلمين ، وانه لسائر بينهما اذ سألته امية :

— من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟  
فقال عبد الرحمن :

— ذلك حمزة بن عبد المطلب .

فقال امية :

— ذلك الذي فعل بنا الافعيل .

أسفرت معركة بدر عن انتصار رائع للمسلمين ، نصر دخل به الاسلام  
في دور التوسع . وانصرف من بقى من المشركين الى مكة وهم يشعرون ان  
يوم قريش قد دنا وان جماعة فيها اسود من طراز حمزة بن عبد المطلب ،  
وعلى بن ابي طالب لن تغلب على امرها ابدا .

مضت قريش تسنعد ليوم تبلغ فيه ثارها ، وجعل رجالها يمشون الى بعض يدبرون لهذا الأمر عدته . وجمعوا اموالا هائلة حتى لم يعد احد منهم رجلا كان او امرأة — الا ساهم في العدة بنفسه او بماله . وخرج رجالهم وكماتهم وخلفهم الطغائن يشدون ازرهم ويحرضونهم على القتال ثارا لمن لقي مجرعه في معركة بدر من بعولتهن او ابنائهن او اخواتهن . وكانت هند بنت عتبة اسند نساء قريش دعوة لهذا الثار . اذ لقي ابوها واخوها مصارعهم في بدر . وكان قلبها يبور بالحقد على حمزة . . بطل بدر والذي فعل بقريش ورجالها الافاعيل .

وكانت موقعة احد وما حدث فيها من مخالفة رماة المسلمين لما قرره الرسول صلى الله عليه وسلم من خطة للمعركة ، كانوا خمسين رجلا يرمون النبل يقودهم عبد الله بن جبير وضعهم الرسول في مخرم من مخارم جبل احد ليحموا ظهور المسلمين من ان يفاجئهم المشركون من الخلف ، ثم التقى الجمعان وابدى كرامة المسلمين من الشجاعة ما يفوق الوصف ، وكان حمزة سيفا من سيوف الله لا يلقى مشركا الا صرعه .

وراحت هند بنت عتبة والنسوة اللائي معها يضربن بالدفوف خلف الرجال ويقتلن :

نحن بنات طارق  
نمشي على النمارق  
مشى القطا النوازي (١)  
والمسك في المفارق  
والدر في المخانق  
ان تقبلوا نساءنا  
وقفرش النمارق  
او تدبروا نفارق  
فراق غير وامق

ووقف وحشى مولى جبير بن مطعم خلف شجرة وفي يده حربته يرصد عركات حمزة بن عبد المطلب وصوت ابن مطعم يداعب خياله :

— ان قتلت حمزة عم محمد بعى فانت عتيق .

(١) الخفاف .

انها رمية من حريته تسنقر في قلب حمزة ثم يسرد بعدها حريته .  
فراح يتبع حمزة بعينه في كره وفره ، انه يحصد الناس بسيفه ويهني  
اليهم كالأسد قد كثر عن أنيابه ، فينقض على فريسته وان هي الا حريته  
واحدة فيتركه كأمس الدابر وهو يقول :

— انا اسد الله ، انا ابن عبد المطلب .

وضرب حمزة رجلا ضربة اطاحت براسه ، فانكمش وحشى وهو في  
مكمنه ، فحمزة قتل ثلاثين من قريش وحده ، واو التفت ناحية السجود  
وخطر له ان يتربص به لانقض عليه انقضاض الصاعقة وقتله قل ان يسبح  
بحسريته .

وهز وحشى الحربة في يده وصوبها الى حمزة ، وقبل ان يطلقها كان  
حمزة قد التفت الى سباع بن عبد العزى فقال له :

— اقبل يا بن مقطعة البثور .

كانت امه ام انمار مولا شريق والد الأخنس ختانة مكة : وكان سباع  
يعادى الله ورسوله وكان من المكذبين ، فشد حمزة عليه ورفع سيمه وهوى  
به فاذا بسباع في مثل لح البصر يسقط على الارض وقد سالت دماؤه بالفظ  
آخر الانفاس .

وتقاصرت نفس وحشى فقد كان سباع تمام واحد وتلاتين قتلهم حمزة ،  
انه يقاتل بين يدي رسول الهدى بسيفين ويقول : انا اسد الله .

وملا الخوف قلب وحشى وبات يخشى ان تنتهى المعركة لهزيمة قريش  
دون ان ينال من حمزة فيظل يرسف في أغلال العبودية ، فجعل يرصده في  
غذواته وروحانه بين صفوف المشركين لعل فرصة تسنح له فيقتل فيها  
حمزة ويسترد حريته .

وكر فرسان قريش على المسلمين فاذا بالنبال تتطاير من الرماة الذين  
اسندوا ظهورهم الى جبل احد لتستقر في أعين الخيل او في رقاب الفرسان  
وصدورهم ، فانجفل الفرسان مرتدين ليتفرقوا في الوادى ليصبحوا هدفا  
لاسيف حمزة وعلى والزبير وابى دجانة وصناديد المسلمين .

وارتفعت الاصوات تجلجل عند احد ، المسلمون يهتفون :

— امت ... امت .

وقد استبشروا بنصر الله ، والمشركون يهتفون :

— يا لعزى ! يا لهبل ! !

والنسوة من قريش يحمنن الرجال بالدفوف ، واقبل حمزة بن عبد  
المطلب وقد نهر سيفيه ليقاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ويقول :

— انا اسد الله .

فبينما هو كذلك اذ عشر عشرة وقع منها على ظهره فانكشف الدرع عن  
بطنه ، فلاح لوحشى الفرصة التى كان يرصدها منذ نشب القتال فى بطن  
احد ، فهز حربيته دفعا عليه فاذا بها تنفلد من تحت سرته لتخرج من بين  
رجليه .

وندت عن حمزة صرخة مكتومة ونظر فرأى وحشى خلف الشجرة فحمل  
نفسه حملا لينطلق اليه يريد ان يقتل ذلك العبد الحبشى الذى غدر به ،  
ولكنه عجز عن مواصلة السير فوقع على الارض وهو يلهث .

ورفع راسه لينظر فاذا بجبل احد يدور فى الفضاء . واذا بالمدينة  
البعيدة يطبق عليها الظلام ، واذا بأصوات المسلمين التى  
كانت تدوى كالرعد .. امت .. امت .. تخفت ولم يعد يرى بعينه ولكنه  
كان يرى ببصيرته اول يوم اعلن فيه اسلامه ، يوم ان ذهب الى ابي جهل  
وشجه بقوسه وهو فى مجلسه عند الكعبة لما سمع ان ابا جهل قد اساء  
الى ابن ابيه . وكان يرى ضناديد قريش يوم بدر لما كانوا يتهاوون جشاً  
هامة تحت ضربات سيفه البتار ، وغاب عن الدنيا بينما كانت اصوات  
عذبة تنسحب فى اذنيه تبشره بجنان عرضها السموات والارض ، فاذا  
باساريره تنبسط واذا بروحه تعود الى ربها راضية مرضية .

وجاء وحشى وقد سكن روعه فاخذ حربيته ثم انتحى الى المعسكر ولم  
يكن له فى شئ حاجة غيره .

واسفرت المعركة عن هزيمة المسلمين .

وراح ابو سفيان يضرب فى شدة حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح  
ويقول :

— دق عقق .

ومر الخليس سيد الاحابيش بأبى سفيان وهو يضرب فى شدة حمزة  
فاستنكر ما يفعل فقال :



- يابنى كنانة . هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لهما .  
فقال ابو سفيان :

- وبحك ، اكنمها عنى فانها كانت زلة .  
وجاء وحشى الى هند بنت عتبة فقال لها :  
- ماذا لى ان قتلت قاتل ابيك ؟  
- سألنى .

فأخبرها انه قتل حمزة فتهللت اساريرها واعطته ثيابها وحليها ، وكان  
فى ساقها خدمتان ( خلخالان ) من جزع ظفار ( بلد باليمن ) واسماور  
وخواتم فى أصابع رجلها ثم قالت :

- اذا جئت مكة فلك عشرة دنانير .  
ووقفت ترنو الى وحشى فى نشوة وفرح ثم قالت :  
- ارنى مصرعه .

فراحا يجوسان خلال الجثث التى ملأت ارض المعركة حتى اذا ما رأى  
حمزة قتيلا انقضت عليه وبقرت عن كنده فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها  
فلفظتها . وجاء نسوة قريش يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ويجدن الأذان والأنف حتى اتخذت هند من آذان الرجال  
وأنفهم خدما ( خلخالا ) وقلائد ، ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى  
صوتها :

نحن جزيناكم بيوم بدر  
والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لى من صبر  
ولا اخى وعمه وبكرى

شفيت نفسى وقضيت ندرى  
فشكر وحشى على عمري

خزيت فى بدر وبعد بدر  
شفيت وحشى غليل صدرى

حتى ترم اعظمى فى قبرى  
فأجابتها هند بنت ائانة بن عباد بن عبد المطلب فقالت :

يا بنت وقاع عظيم الكفر  
 اقحمك الله غداة الفجر  
 بالهاشميين الطوال الزهر  
 بكل قطاع حسام يفرى  
 حمزة ليثى وعلى صقرى  
 اذا رام شيب وابوك غدرى  
 مخضنا منه ضواحي النحر  
 ونذكرك السسوء فشر نذر  
 ولم يكن المسلمون يعلمون بمقتل حمزة بن عبد المطلب ، فارادت هند ان  
 تعلنهم بالنبا لتشفى غليل صدرها وصرخت بأعلى صوتها :  
 نفيت من حمزة نفسى بأحد  
 حتى بقرت بطنه عن الكبند  
 اذهب ذاك عنى ما كنت اجد  
 من لدعة الحزن الشديد المعتمد  
 والحرب تعلوكم بشؤبوب (١) برد  
 تقدم اقداما عليكم كالاسد  
 وراح رسول الهدى يسأل :  
 - ما فعل عمى ؟ ما فعل عمى ؟  
 فخرج الحارث بن الصمة فأبطأ ، فخرج على بن ابي طالب يطلبه فيقول :  
 يا رب ان الحارس بن الصمة  
 كان رفيقا وبننا ذا ذمة  
 قد ضل في مهامه مهمة  
 يلتمس الجنة فيها ثمة  
 حتى انتهى الى الحارث ووجد حمزة مقتولا فاعتصر الحزن قلبه وطفرت  
 الدموع الى عينيه ، وأجهش بالبكاء ، وعاد على وهو باسر الوجه يحمل  
 نفسه حملا ، حتى اذا اقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف  
 الفاجعة في وجهه فانقبض قلب رسول الرحمة ، وأقبل الرسول حتى وقف  
 على حمزة فوجده قد بقر بطنه ومثل به فجده انفه وقطعت مذاكيره ، فنظر

(١) الشؤبوب رفعه المطر الشديدة .

صلى الله عليه وسلم الى شىء لم ينظر الى شىء قط كان اوجع لقلبه منه  
وقال :

لن اصاب بمثلك ابدا . ما وقفت موقفا اغيظ لى من هذا . رحمة الله  
عليك فانك كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم . اما والله لئن  
اظفرنى الله تعالى بقريش في موطن من الموطن لامثلن بسبعين منهم مكانك .  
ووضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق وبلغ به  
العشى وراح يقول :

— يا عم رسول الله واسد الله واسد رسول الله . يا حمزة يا فاعل  
الخيرات . يا حمزة يا كاشف الكريات . يا حمزة يا ذات عن وجه رسول  
الله .

ولما رأى المسلمون جزع رسول الله على عمه قالوا :  
— لئن اظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من  
العرب .

علم الله تعالى مدى ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الألم  
والحزن ، وهذا هو الذى دفعه الى الرغبة في المثلة بقريش . وسأيريه  
اصحابه في ذلك فإوحى جل شأنه الى رسوله عليه السلام قوله :

— « وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير  
للمصابرين » +

فعفا رسول الرحمة ، وصبر ونهى عن المثلة .

وظلمت صفية بنت عبد المطلب . فقال عليه السلام :

— يا زبير اغنى عنى امك .

فذهب الزبير الى امه وهو حزين وقال لها :

— يا امه ، ان في الناس تكتيفا فارجمي .

— ما انا بفاعلة حتى ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحال الانصار بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

— دعوها .

فانطلقت اليه عليه السلام، وقالت :

— أين ابن امي حمزة ؟

بن فقال وهو حزين :

— هو في الناس .

— لا ارجع حتى انظر اليه .

ورأت صفية اخاها حمزة وقد مثل به فاحست بسكاكين تمزق احشاءها وجلست عند رسول الله فجعل اذا بكى يبكي ، واذا نشجت ينشج ، وجعلت فاطمة الزهراء تبكي فلما بكى بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :

— لن اصاب بمثل حمزة ابدا . وقال : جاء جبريل فاخبرني ان حمزة ابن عبد المطلب مكتوب في اهل السموات السبع « حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله » .

وكفن حمزة رضى الله عنه ببردة كانوا اذا مدوها على راسه انكشفت رجلاه وان مدوها على رجله انكشفت راسه ، فمدوها على راسه وجعلوا على رجله الاذخر .

ثم صلى عليه الرسول ، فكبر سبع تكبيرات ، وكان يؤتى بالقتلى فيوضعون الى حمزة فيصلى عليهم وعليه معهم ، ثم يرفعون ويترك حمزة ثم يجاء بغيرهم فيكبر عليهم سبعا — حتى صلى عليه رسول الله يومئذ سبعين صلاة . ثم امر الرسول صلى الله عليه وسلم بدفنه مع ابن اخته عبد الله بن جحش .

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته بالمدينة فمر بدار من دور الانصار من بنى عبد الأشهل وظفر فسمع البكاء والنواح على قتلاهم . فدرفت عينها الرسول فبكى وقال :

— لكن حمزة لا بواكى له . واستغفر الله .

فسمع ذلك سعد بن معاذ فمشى الى دار بنى الأشهل واتى بنسائهم فوقف معهم جميعا على باب رسول الله وقال :

— والله لا تبكين قتلى الانصار حتى تبكين عم النبي صلوات الله عليه فانه عليه السلام ذكر انه لا بواكى له .

فوقفن يبكين ، فقال لهن الرسول :

— ارجعن رحمكن الله ، لقد واسيتن معي ، رحم الله الانصار فان المواساة فيهم كما علمت قديمة .

ونهى نساء الانصار عن النوح وقال له الانصار :

- يا رسول الله بلغنا أنك نهيت عن النوح ، وإنما هو شيء ننسب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فاذن لنا فيه .

فقَالَ الرسول :

- ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطنن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا

قالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة رضى الله عنه :

أسائلة اصحاب « أحد » مخافة

بنات ابى من أعجم وخيبر

فقال الخبير ان « حمزة » قد ثوى

وزير رسول الله خير وزير

دماء اله الخلق ذو العرش دعوة

الى جنسه يحياها وسرور

فذلك ما كنا نرجى ونرتجى

« لحمزة » يوم الحشر خير مصر

فو الله لا أنساك مهابت الصبا

بكاء وحزنا محضى ومسرى

على « أسد الله » الذى كان مدرها

يدود عن الاسلام كل كفور (١)

فياليت شلوى عند ذاك واعظمى

لدى أضيع تعتادنى ونسور (٢)

اقول وقد أعلى النعى عشيرتى

جزى الله خيرا من اخ ونصير

وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه :

أعترف الدار عفا رسمها

بعدك صوب المسيل الهاطل (٣)

بين السراديح فادمسانة

فمدفع الدوحاء فى حائل (٤)

(١) المدره : الذى يدفع من القوم .

(٢) الشلو : البقية - تعتادنى : يتعمدنى .

(٣) عفا : غير ودرس ، ورسمها : اثرها - والصوب : المطر .

(٤) السراديح : جمع سرداح ، وهو الوادى . وادمانه : مكان بعينه . والمدفع : حيث

يندفع السيل ، والروحاء : اسم موضع ، وحائل جبل .

سألتها عن ذاك فاستعجمت  
لم تدرك ما مرجوعة السائل  
دع عنك داراً قد عفا رسمها  
وايك على حمزة ذى النائل (١)  
الماليء الشيزى اذا اعصفت  
غبراء فى ذى الشيم الماحل (٢)  
والتارك القرن لدى لبد  
يعثر فى ذى الخرص الدابل (٣)  
واللابس الخيل اذا احجمت  
كاليث فى غابته الباسل  
ابيض فى الروه من هاشم  
لم يمر دون الحق بالباطل  
مال شهيدا بين اسـيافكم  
شلت يدا وحشى عن قاتل

صلى عليه الله فى جنة  
عالية مكرمة الداخل  
كفنا نرى حمزة حرزا لنا  
فى كل امر نابنا نازل  
وكان فى الاسلام ذا تدرا  
يكفيك فقد القاعد الخاذل (٤)  
لا تفرحى يا هند واستجلبى  
دمعا واذرى عبرة الثاكل (٥)

(١) النائل : العطاء .

(٢) الشيزى : الجفان التى تصنع من خشب الشير . واعصفت : اشتدت . والغبراء :  
التي تنثر الغبار وتهيج . والشيم : الماء البارد . والماحل - من المحل ، وهو القحط  
(٣) القرن : الذى يقاومك فى القتال . واللبد : الغبار الملبد . وذو الخرص : الرمح .  
والخرص سنامه . والدابل : الرقيق الشديد .

(٤) ذا تدرا : يريد انه كان كثير الدفاع عنا

(٥) اذرى : اسكبى واسترخصى . العبرة : الدمة . الثاكل : المرأة التى فقدت ولدها .

وابكى على عقبة اذ قطه  
بالسيف تحت الرهج الجائل (١)  
اذ خر في مشيخة منكم  
من كل عات قلبه جاهل  
ارداهم حمزة في اسرة  
يمشون تحت الحاق الفاضل (٢)  
غداة جبريل وزير له  
نعم وزير الفارس الحامل

\*\*\*

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه :  
ولقد هددت لفقد حمزة هدة  
ظلت بنات الجوف منها ترعد (٣)  
ولو انه فجعت حراء بمثله  
لرايت رأسى صخرها يتبدد  
قرم تمكن في ذؤابة هاشم  
حيث النبوة والندى والسؤدة (٤)  
والعافر الكوم الجلال اذا غدت  
ريح يكاد الماء فيها يجمد (٥)  
التارك الإقرن الكمي مجدلا  
يوم الكريمة والقنا يتقصد (٦)

---

(١) عبة : هو ابو هند امرأة ابي سفيان بن حرب . وكان حمزة قد قتله في يوم بدر .  
وقطه : قطعه نصفين . والرهج : الغبار . والجائل : المتحرك الشائر مما أثارته سنايك الخيل  
وأقدام المتحاربين .

(٢) ارداهم : اهلكهم . اسرة ، قرابة . الحلق : الدروع . الفاضل : الذى يفضل  
من لابسه ويزيد عنه وينجر على الأرض .

(٣) بنات الجوف : يعنى قلبه وما اتصل به مما يشتمل عليه الجوف .

(٤) القرم : السيد الشريف . وذؤابة هاشم : أعاليها ، وأراد اسمى أنسابها وأرفعها .

(٥) الكوم : جمع كوما ، وهى من الأبل العظيمة السنام . والجلاد : القوة .

(٦) ألكمى : الشجاع ، مجدلا : مطروحا على الجدالة وهى الأرض . ويتقصد : ينكسر

وتراه يرفل في الحديد كأنه  
 ذو لبدة شنن البرائن اربد (١)  
 عم النبي محمد وصفيه  
 ورد الحمام فطاب ذاك المورد  
 واني المنية معلما في اسرة  
 نصروا النبي ومنهم المستشهد  
 ولقد اخال بذلك هندا بشرت  
 لتميت داخل غصة لا تبرد  
 مما صبحنا بالعنقل قومها  
 يوما تغيب فيه نها الأسعد (٢)  
 ويثر بدر اذ يرد وجوههم  
 جبريل تحت لوائنا ومحمد  
 حتى رايت لدى النبي سراتهم  
 قسمين تقتل من نشاء ونطرد  
 فأقسام بالعطن المعطن منهم  
 سبعون عتبة منهم والاسود (٣)  
 وابن المفيرة قد ضربنا ضربة  
 فوق الوريد لها رشاش مزيد (٤)  
 وامية الجبحى قوم ميله  
 غضب بأيدي المؤمنين مهند (٥)  
 فأتاك فسل المشركين كأنهم  
 - والخيـل تثقنهم - نعام شرد (٦)  
 شتان من هو في جهنم ثاويا  
 أبدا ومن هو في الجنان مخلد

\*\*\*

- 
- (١) الحديد : اراد به الدروع . وذو لبدة : الاسد . شنن : غليظ . البرائن للسباع .  
 بمنزلة الاسابع للناس . الاربد : الاقبر يخالط لونه سواء .  
 (٢) العنقل : الكتيب من الرمل .  
 (٣) العطن : ميرك الابل حول الماء . والمعطن : الذي قد عود أن يتخذ عطنا .  
 (٤) الوريد : هرق في صفحة العنق . ورشاش مزيد : يريد دما تملوه الرغبة .  
 (٥) غضب : سيف قاطع  
 (٦) الفل : القوم المنهزمون . تثقنهم : تطردهم وتتيح آثارهم .



لقد دخل حمزة رضى الله عنه الاسلام منتصفا لمحمد رسول الهدى ،  
ومات مقاتلا في سبيل الله تعالى . وقد بلغ من تفانيه في نصره دين الحق  
أن محمدا صلى الله عليه وسلم سماه « أسد الله وأسد رسوله » .

وعد عاش في اقصى فترات الدعوة ، ولم يعرف الحيانة منذ اسلم الا  
مضطهدا او مجاهدا ولم يمهله القدر حتى يرى الاسلام بعد فتح مكة ،  
وحتى يرى الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، بل لم يمهله القدر حتى ينعم  
بشيء من الراحة لقاء هذا الكفاح المجيد الذى بذل .

أن الله العلى الكبير ادخر له جزاءه كله في الجنة التى جعلها مثوى  
لاكرم شهداء المسلمين .

\* \* \*



عم الرسول  
العباس بن عبد المطلب



## عم الرسول العباس بن عبد المطلب

كان العباس بن عبد المطلب شريفا مهيبا ، جميلا . وكان من اطـ رسول  
الرجال ، واحسنهم صورة وابهاهم ، واجهرهم صوتا ، مع الحلم الوافر  
والسسيودد .

أبوه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ، عم  
رسول الله ، وصنو أبيه ، وأمه نائلة بنت جناب بن كليب ، وهى اول عربية  
كسبت البيت الحرير والدباج ، وسببه أن العباس ضاع وهو صغير ،  
فندرت أن وجدته أن تكسو البيت ، فوجدته ، ففعلت .

ولد العباس قبل عام الفيل بثلاث سنين .

وتزوج العباس من أم الفضل لبابة الكبرى بنت الجارث . وقد رزق  
منها بعدد من الاولاد . وفى ولد أم الفضل يقول عبد الله بن يزيد الهلالي :

ما والدت نجيبة من فحل      بجبل تعلمه أو سهل

كسبته من بطون أم الفضل      أكرم بها من كهلة وكهل

كان العباس قبل المبعث رئيسا في قريش ، واليه كانت عمارة المسجد ،  
فانه كان لا يدع احدا يسب في المسجد ولا يقول فيه هجرا . لا يستطيعون  
لذلك امتناعا ، لأن ملا قريش قد اجتمعوا وتعاهدوا على ذلك ، فكانوا له  
اعوانا عليه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظمه ويكرمه بعد اسلامه ، وكان  
وصولا لأرحام قريش ، محسنا اليهم ، ذا رأى سديد ، وعقل راجح .

قال النبي صلى الله عليه وسلم له :

« هذا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفا وأوصلها . هذا بقية

آبائى » .

دخل العباس على الرسول صلى الله عليه وسلم مفضيا ، فقال :

ما أغضبك ؟

فقال : يا رسول الله ، مالنا ولقريش ؟ اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه

مبشرة ، واذا لقونا لقونا بغير ذلك .

فغضب الرسول حتى أحمر وجهه ، ثم قال :

والذى نفسى بيده ، لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الله

ورسوله .

ثم قال : ايها الناس من آذى عمى فقد آذانى ، فانما عم الرجل صنو  
ابيه .

وفال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا . ومنزلى ومنزل ابراهيم .  
تجاهين فى الجنة » ومنزل العباس بن عبد المطلب بيننا مؤمن بين خليلين » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « ان رجلا من الانصار وقع فى اب  
العباس كان فى الجاهلية ، فلطمه العباس ، فجاء قومه فقالوا : والله لناطمته  
كما اطمه ، فلبسوا السلاح .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصعد المنبر فقال :

— ايها الناس ، اى اهل الأرض اكرم على الله ؟  
قالوا : انت .

قال : فان العباس منى وانا منه ، لا تسبوا امواتنا فتؤذوا احياءنا .

فجاء القوم فقالوا : نعوذ بالله من غضبك يا رسول الله .

وعن ابن عباس :

« ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل على العباس وولده كسما »  
ثم قال :

« اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة ، لا تفادر ذنبا . اللهم  
اخلفه فى ولده » .

وعن اسماعيل بن قيس بن سعد ، عن ابي حازم ، عن سهل ، قال :

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القيظ ، فقام لبعضى  
حاجته ، فقام العباس يستره بكساء من صوف ، فقال : اللهم استر العباس  
وولده من النار .

وقال صلى الله عليه وسلم :

— « استرصوا بالعباس خيرا ، فانه عمى وصنو ابنى » .

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت :

— ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس احدا ما يجلس العباسى  
او بكرم العباس .

روى عنه عبد الله بن الحارث ، وعامر بن سعد ، والاحنف بن قيس ، وغيرهم . وله احاديث منها :

عن عبد الله بن عباس قال : اخبرني ابي العباس انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله انا عمك ، كبرت سننى ، واقترب اجلى ، فعلمنى شيئا ينفعنى الله به ، فقال :

— يا عباس انت عمى ولا اغنى عنك من امر الله شيئا ، ولكن سل ربك العفو والعافية .

وعن عامر بن سعد ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ، وبلاسلام ديننا ، وبمحمد رسولا » .

\* \* \*

شهد العباس بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة ، لما بايعه الانصار ليشدد له العقد .

خرج الانصار من يثرب فى حجاج قومهم من المشركين ومعهم البراء بن معرور سيدهم وكبيرهم ، وكان البراء فى شوق للقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد آمن به قبل ان يراه . وبيناهم فى الطريق التفت البراء الى كعب بن مالك وقال له :

— انى قد رايت رايا ما ادرى اتوافقوننى عليه ام لا .

— وما ذاك ؟

— رايت ان لا ادع هذه البنية ( الكعبة ) منى بظهر ، وان اصلى اليها .

— والله ما بلغنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى الا الى الشام ، وما نريد ان نخالفه .

كانت قبلتهم بيت المقدس ، ولكن البراء بن معرور رآى ان البيت العتيق اولى بأن يكون لهم قبلة فقال :

— انى اصلى اليه .

— ولكننا لا نفعل .

ولما قدموا مكة قال البراء لكعب بن مالك :

- بابين اخري انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسأله عما صنعت في سفري هذا ، فانه والله قد وقع في نفسي منه شيء لما رايت من خلافتكم اباي فيه .

فخرجوا بمسألان عن الرسول وكانا لا يعرفانه لأنهما لم يرياها قبل ذلك ، فلتقيا رجلا من أهل مكة فسألاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

- يعرفانه ؟

- لا .

- فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب ؟

- نعم .

كانا يعرفان العباس فقد كان لا يزال يقدم عليهم تاجرا ، قال الرجل :

- فاذا دخلتما المسجد فاذا هو الرجل الجالس مع العباس .

ودخلا المسجد ، ورأيا العباس فراحا يتقدمان اليه ، وغدوا يتفرسان في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد خفقت قلوبهما حبا واملا ، وفعل رسول الهدى الى آتتهما قادمات اليه فقال للعباس :

- هل تعرف هذين الرجلين يا ابا الفضل ؟

- نعم ، هذا البراء بن معروز سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك .

- الشاعر ؟

واتلج صدر كعب فرسول الهدى قد سمع به وبشعره ، وحبا البراء وكعب الرسول بتحية الاسلام فرد بأحسن منها ، ثم قال البراء :

- يا رسول الله اني قد خرجت في سفري هذا وقد هدداني الله الى الاسلام ، فرايت ان لا اجعل هذه البنية مني بظهر فصليت اليها وخالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟

قال الرسول :

- فد كنت على قبلة لو صبرت عليها .

فرجع البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يصلي مع اخوانه في الدين الى بيت المقدس .

وجاء مصعب بن عميرة الى الرسول مشرق الوجه ، ثم راح يخبره بمن اسلم من الأنصار والرسول عليه الصلاة والسلام يصفى اليه وقد غمره



للأسرور ، فقد لاجئاً ، تباشر النصر بعد طول النزيب .

ووالله لأقصار الرسول صلى الله عليه وسلم العقبة ، وكانوا يكتسبون  
من معهم من قومهم من المشركين أمرهم ، وكان فيهم أبو جابر عبد الله بن  
عمرو بن حرام سيد من ساداتهم فكلّموه وقالوا له :

— يا أبا جابر أنتك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا ، وأنا نرشيك  
بك عما أنت فيه أن تكون حطماً للنار غدا .

وعقدوا يدعونه إلى الإسلام حتى شهد شهادة الحبس وصلى معهم ،  
وأخبروه بيميناد الرسول صلى الله عليه وسلم .

واقضى يوم النضرة الأولى وجاءت الليلة التي وأمدرا رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، فمكثوا تلك الليلة مع قومهم في رحالهم حتى إذا مضى  
ثلث الليل خرجوا من رحالهم لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
يتسلل الرجل والرجلان تسلل الخطأ مستخفين لا ينبهون نائماً ، ولا  
ينتظرون غائباً كما أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم .

واجتمعوا في الشعب عند العقبة وكانوا ثلاثاً وسبعين رجلاً وإسراطين :  
نسبة أم عمارة من بنى النجار وأم منيع اسماء بنت عمر بن عدي .  
فما زالوا ينتظرون الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جاءهم ومنعه  
العباس بن عبد المطلب ليس معه أحد من الناس غيره ، وكان ينسحب به في  
أمره كله .

وقد أوقف العباس على بن أبي طالب على فم الشعب عينا له ، وأوقف  
أبا بكر الصديق على فم الطريق الآخر عينا .

فلما اجتمعوا كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال :

— يا معشر الخزرج — وكانت الأوس والخزرج تدعى الخزرج — انكم  
قد دعوتكم محمد إلى ما دعوتوه إليه ، ومحمد من أعز الناس في عشيرته ،  
يمنعه والله من كان منا على قوله ومن لم يكن منا على قوله يمنعه للحسب  
والشرف . وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم ، فان كنتم أهل قوة وجلد  
وبصر بالحرب واستقلال بعناوة العرب قاطبة ، فانها سترميكم عن قوس  
واحدة ، فارتدوا رايكم ، واثتمروا أمركم ولا تفترقوا إلا عن ملائمتكم  
واجتماع فان أحسن الحديث صدقه .

— قد سمعنا مقالتك ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك  
ما أحببت .

— خذ لنفسك ما شئت واشترط لربك ما شئت .  
— اشترط لربي عز وجل ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، ولنفسى ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وابناءكم ونساءكم .  
— فاذا فعلنا فما لنا ؟

— لكم الجنة .  
— ربح البيع لا ثقل ولا نستقيل . نبأيعك .  
فاخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال :  
— نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه ائزنا ( نساءنا وانفسنا ) فنحن والله اهل الحرب واهل الحلقة ( السلاح ) ورثناها كابرا عن كابر .  
وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابو الهيثم ابن التيهان :

— نقبلك على مصيبة المال وقتل الأشراف .  
قال العباس : اخفوا جرسكم فان علينا عيونا .  
قال ابو الهيثم : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال ( اى اليهود ) حبالا « عهودا » وانا قاطعوها ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ » .  
فتبسم الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال :

— بل الدم الدم والهدم الهدم (١) .  
وقال العباس بن عبد المطلب :  
— عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم ، لتجدن في نصرته ، ولتشدن من أزره .  
قالوا جميعا : نعم .

قال العباس : اللهم انك سامع شاهد ، وان ابن اخى قد استترعاهم ذمته واستحفظهم نفسه ، اللهم كن لابن اخى عليهم شهيدا .

---

(١) ان طلب دمكم فقد طلب دمي ومنزلكم منزلى .

به قال صلى الله عليه وسلم :

— اخرجوا الى منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم .

فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فمن الخزرج اسعد بن زرارة نقيب بنى النجار ، وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة نقيبا بنى الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان نقيب بنى زريق ، والبراء ابن معرور ، وعبد الله بن عمرو نقيبا بنى مسلمة ، وعيادة بن الصامت نقيب بنى عدى من الخزرج ، وسعد بن عباد والمندر بن عمرو نقيبا بنى ساعدة ، ومن الأوس اسيد بن حضير نقيب بنى عبد الأشهل ، وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر نقيبا بنى عمرو بن عوف .

وقال صلى الله عليه وسلم لهؤلاء النقباء .

— انتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وانا كفيل على قومي . واخذ اسعد بن زرارة بيد الرسول صلى الله عليه وسلم وقال :

— رويدا يا أهل يثرب ، انا لن نضرب الا اكباد الابل الا ونحن نعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان اخراجه اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل خياركم وان تعطيكُم السيوف ، فاما أنتم قوم تصرون عليها اذا مستكم يقتل خياركم ومفارقة العرب كافة ، فخذوه وأجركم على الله تعالى ، وأما انتم تخافون من انفسكم خيفة فذروه فهو عذر لكم عند الله عز وجل .

وقال العباس بن عباد :

— يا معشر الخزرج هل تدرون علام تباعون هذا الرجل ؟ انكم تباعونه على حرب الاحمر والأسود من الناس ، فاذا كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم محسبة واشراقكم قتلا اسلمتموه فمن الآن ، فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه على ما ذكرت لكم . فهو والله خير الدنيا والآخرة .

— رضينا ، أبسط يدك .

فبسط يده صلى الله عليه وسلم وتقدم الرجال للمبايعة .

كان العباس بن عبد المطلب يصغى الى ما يدور بين ابن اخيه عليه الصلاة والسلام والانصار وهو في دهش من امر القوم الذين يبايعون على محاربة الأسود والاحمر وعداوة العرب كافة وهم متهللون بالبشر والفرح ، كأنما كانوا يدعون الى متعة من متع الحياة .

اكان العباس بن عبد المطلب على دين قومه حقا ، وانه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له ، أم ان العباس قد اسلم سرا وانه كتم اسلامه نزولا على رغبة ابن اخيه ليكون قلم مخابراته في مكة اذا ما اضطر رسول الهدى يوما الى ان يهاجر من مكة ؟

ان زوجه ام الفضل اسلمت بعد ان حدثنها خديجة مباشرة حديث الملك الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بفار حراء ، وقد ظلت العلاقة طيبة بين أم الفضل والعباس بعد ذلك . ترى اكانت ام الفضل نرضى ان يبقى العباس على كفره وان تظل على حبها اياه واجلاله ؟ واذا ما حرم الاسلام فيما بعد ان تظل الزوجة المسلمة مرتبطة بزوجه الكافر ، اتهاجر أم الفضل العباس ام تظل فى بيته ؟ !

\* \* \*

مضت الارستقراطية القرشية سادرة فى غيها ، تؤذى النبى والذين آمنوا معه ، فهاجر المسلمون الى المدينة معقل الاسلام وملجأ جمعاة المسلمين ، وهناك اسس الرسول الدولة الاسلامية لتكون حصنا للمسلمين وقاعدة انطلاق لنشر راية التوحيد .

كانت مكة غارقة فى صمت عميق . وكانت عائكة بنت عبد المطلب غارقة فى النوم فرات عمه الرسول رؤيا أفرعتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له :

يا اخى والله لقد رايت الليلة رؤيا افظعتنى وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاکتم عنى ما احدثك .  
فأقبل عليها العباس فقالت :

— لن احدثك حتى تعاهدنى ان لا تذكرها فانهم ان سمعوها آذونا واسمعونا مالا نحب . فعاهدها العباس فقال لها : ما رايت ؟

— رايت راكبا اقبل على بعيرك حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته الا فانفروا بالفدر مصارعكم فى ثلاث ، ثم مثل به بعيره على راس ابى قبيس فصرخ بمثلها . ثم اخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى اذا كانت بأسفل الجبل أرفضت ( تفتت ) ، فما بقى بيت فى بيوت مكة ولا دار الا دخلت منها قلقة .

— والله ان هذه لرؤيا ، وانت فاکتميتها ولا تذكرها لاحد .  
ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقا

فذكرها له ، واستكتمه اباه . فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث بمكة حتى تحدث به قريش في انديتها . فغدا العباس يطوف بالبیت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش يعودون ينحدثون برؤيا عائكة : فلما رآه أبو جهل قال :

— يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل علينا .

فلما فرغ اقبل حتى جلس معهم فقال أبو جهل :

— يا بني عبد المطلب متى حدثت فبكم هذه النبئة ؟

— وما ذاك ؟

— تلك الرؤيا التي رأت عائكة .

— ما رأت ؟

— يا بني عبد المطلب اما رضيتم ان يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ، لقد زعمت عائكة في رؤياها انه قال : انفروا في ثلاث : فستربص بكم هذه الثلاث فان بك حقا ما تقول فسيكون . وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت في العرب .

ولم يستطع العباس ان يفعل شيئا الا ان ينكر رؤيا عائكة ، ثم تفرقا فلما جاء النساء وذاع في دور بني عبد المطلب ما كان بين العباس وابي جهل لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا اتت العباس فقالت :

— اقررتم اهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وانت تسمع ، ثم لم يكن عندك شئ مما سمعت .

فقال العباس :

— قد والله فعلت ما كان مني اليه من كبير ، وايم الله لا تعرضن له فان عاد لالقينكنه .

فغدا العباس في اليوم الثالث من رؤيا عائكة وهو حديد مغضب يرى انه قد فاتته من ابي جهل امر يجب ان يدركه منه ، فدخل المسجد فسمراه فمشى نحوه ليتعرضه ليعود لبعض ما قاله فيقع به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، فاذا به يخرج الى باب المسجد يشتد فقال العباس في نفسه :

— ما له لعنه الله ! اكل هذا فرق مني ان اشاتمته !

واذا هو قد سمع ما لم يسمع العباس : صـوت ضمضم بن عمرو  
الفغاري - وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره ، قد جدد بعيره ( قطع  
انفه ) وحول رحله وشق قميصه وهو يقول :

— يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ( الابل التي تحمل البر والطيب )  
اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه لا ارى ان تدركوها .  
الفوث ! الفوث !

فشغل العباس عن ابي جهل وشغل ابا جهل عن العباس ما جاء من الامر  
وكانت معركة بدر ، بين كتيبة الايمان ، وقوى الشرك والظلام ، ابلى فيها  
المسلمون بلاء عظيما ، وتساقطت رءوس المشركين تحت ضربات سيوف  
كتيبة الايمان .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم لاصحابه :

— انكم قد عرفتم ان رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد اخرجوا اكراما  
لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، ومن لقي ابو  
البختری بن هشام فلا يقتله . كان ابو البختری ممن لا يؤذى النبی صلى  
الله عليه وسلم ، وهو بمكة ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة الظالمة ورفع  
الحصار الذي ضربته قريش على بنى عبد المطلب وبنى هاشم لمناصرتهم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلماذا ذكر العباس دون غيره من بنى  
هاشم ؟

اكان العباس قد أسلم وكنتم اسلامه ليكون عينا على قريش ؟  
فقال ابو حذيفة بن عتبة :

— أیقتل آبؤنا واخواننا وعشيرتنا ويترك العباس ؟ لئن لقيته لالجمته  
بالسيف .

راى ابو حذيفة مقتل ابيه عتبة بن ربيعة وعمه شيبه واخيه الوليد  
فهزته المأساة على الرغم من صدق ايمانه فقال مقالته ، فلما بلغت رسول  
الله قال لعمر بن الخطاب :

— يا اباحفص ، اضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟

فقال عمر في تأثر وانفعال :

— يا رسول الله ، دعنى اضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد افاق .

فكان ابو حذيفة يقول :

— ما انا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا ازال منها خائفا  
الا ان تكفرها عنى الشهادة ، فقتل يوم اليمامة شهيدا .

لم يدع الرسول ابن الخطاب يضرب عنق ابي حذيفة ، فقد بلغ الرسول  
اربه باعلان انه لن يرضى عن قاتل العباس ، ولو كان العباس كافرا ما اهتم  
به رسول الهدى الذى بعث بالحق كل هذا الاهتمام ، ولكنه كان عليه السلام  
يخشى ان يقتل مظلوما وان يفقد عينيه فى مكة .

ساق المسلمون اسرى المعركة من المشركين ، ووقف ذكوان بن عبد فيس  
يحرس الأسارى ، وبات رسول الله تلك الليلة ساهرا فقال له اصحابه :

— مالك لا تنام يا رسول الله ؟

— سمعت ائتين العباس (١) فى وثاقه .

فقال رجل فارخى من وثاقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— مالى لا اسمع ائتين العباس ؟

فقال رجل من القوم :

— انى ارخيت من وثاقه شيئا .

قال رسول الهدى :

— فافعل ذلك بالأسارى كلهم .

وفى الصباح .. قال الرسول للعباس :

— يا عباس اهد نفسك وابن اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن  
الحارث وحليفك متبى بن عمرو فانك ذو مال .

— يا رسول الله انى كنت مسلما ولكن القوم استكروهونى .

— الله اعلم باسلامك ، ان يك ما تذكر حقا فالله يجزيك به ، فاما ظاهر  
امرك فقد كان علينا ، فافد نفسك .

وكان الرسول قد اخذ منه عشرين أوقية من ذهب ، فقال العباس :

— يا رسول الله احسبها من فداى .

---

(١) روى مكرمة مولى ابن عباس عن ابي رافع قال : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب .  
وكان الاسلام قد نشأ فينا اهل البيت فاسلم العباس واسلمت ام الفضل زوجة . وكان  
العباس يهاب قومه ويكره خلافهم فكان يكتم اسلامه .

.. لا ، ذاك شيء اعطانا الله منك .

— فانه ليس لى مال .

قال الرسول : فابن المال الذى وضعت بمكة حين خرجت عند ام الفضل بنت الحارث ليس معكما احد ، تم قلت لها ان اصبحت فى سفرى هذا فالفضل كذا وكذا ولعبد الله كذا وكذا ؟

قال العباس : والذى بهتك بالحق ما علم بهذا احد غيرى وغيرها ، وانى لاعلم انك رسول الله . نفدى العباس نفسه وابن اخيه وحليفه .

\*\*\*

اراد العباس الهجرة من مكة الى المدينة ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « مقامك بمكة خير » كان من بمكة من المسلمين يتقوون به . وكان يخب الى الرسول اخبار المشركين .

ولذلك كان الرسول يقول له : « يا عم ، اقم مكانك الذى انت به فان الله تعالى ينعم بك الهجرة كما ختم بى النبوة » .

تم هاجر العباس الى النبى صلى الله عليه وسلم ليكون له الثواب الذى يستحقه بعد كل ما ادى للاسلام من خدمات فى الخفاء ، فلم تعد هنالك حاجة لخدماته وقد اصبح فتح مكة على الابواب .

وخرج العباس فى غفلة من قريش بعياله مهاجرا فلقى الرسول بالجحفة فاستقبل عليه السلام عمه وقد غمره الفرح فقال :

— هجرتك يا عم آخر هجرة .

ونال العباس الجزاء الاوفى ورجع معه عليه السلام الى مكة ليكون له فضل الجهاد الى فضل الاسلام والهجرة . وارسل اهله ومناعه الى المدينة حتى اذا ما نزل المسلمون بمر الظهران واوقدوا النيران رق قلب العباس لاهل مكة وقال :

— واصباح قريش ! والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان ياتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر .

فجلس العباس على بقلية رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرج عليها والسنة النيران تتراقص وسار على ضوءها حتى جاء الاراك . والتقى بابى سفيان بن حرب .

فقال له : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس قد جاءكم بمالا قبل لكم به .



فقال ابو سفيان في ياس :

-- واصباح فريس ! والله ، فما الحيلة فذلك ابى وامى ؟

• - والله لئن ظفر بك ليخربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتبك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسنمته لك .

فركب ابو سفيان خلف العباس فجاء به حنبى مر على نيران عمر بن الخطاب وكان على الحرس .

فقال : من هذا :

وفام الى العباس . فلما رأى ابو سفيان على عجز الدابة قال :

-- ابو سفيان : عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك من غير عقد ولا عهد .

ثم راح يشده نحو رسول الله فركضت البغلة فسبقتة وراح عمر يعدو خلفها ، ودخل العباس على الرسول . ودخل عمر في اثره فقال وهو يلتقط أنفاسه :

— هذا هو أبو سفيان وقد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد : فدعنى لأضرب عنقه .

فقال العباس : يارسول الله انى قد أجرته .

فعاد عمر يقول لرسول الله عليه السلام : دعنى لأضرب عنقه .

فقال العباس في غضب :

— مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت مثل هذا . ولكنك قد عرفت انه من رجال بنى عبد مناف .

فقال عمر :

— مهلا يا عباس . فوالله لا سلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم . وما بى الا انى قد عرفت ان اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

— اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فأئننى به .

وفي الصباح آمن ابو سفيان بدعوة الاسلام ، وشهد شهادة الحق .

ودخل الرسول والذين آمنوا معه مكة ترفرف عليهم رايات النصر المبين .

\*\*\*

سمع المسلمون بعد فتح مكة مباشرة بتجمعات لعرب هوزان من ثقيف :  
ومعها بنو نصر ، وبنو جشم وبنو سعد بن بكر ، وبنو هلال . .

فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج لقتالهم ، فخرج على رأس أصحابه ، مهاجرين وأنصارا ، وانضم اليهم من آل مكة ، الذين أسلموا حديثا وكان مجموع الجيش اثني عشر الفا . ولما استقبل المسلمون وادى حنين انحدروا في زاد من أودية تهامة ، وكان القوم قد سبقوهم الى هذا الوادى ، فكمنوا لهم في شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فما راعهم الا الكتائب قد شدت عليهم شدة رجل واحد ، واستقبلوهم بالنبل كأنهم جراد منتشر .

وانهرم الناس اجمعون ، وانشمروا لايلوى أحد على أحد ، وانحاز الرسول ذات اليمين ، ثم قال :

— اين ايها الناس هلموا الى ، انا رسول الله ، انا محمد بن عبد الله .  
وانطلق الناس الا انه قد بقى مع الرسول نفر من المهاجرين والأنصار واهل بيته .

وقال الرسول :

— يا عباس ، اصرخ ، يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة .

فنادى العباس ، يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السمرة !  
فأجابوا : لبيك ! لبيك !

وتجمع الناس من جديد . . وانتصر المسلمون بفضل ثبات الرسول والفئة القليلة التى أحاطت به . وفى ذلك نزل قوله تعالى :

« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبكم كثرتم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم . يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله أن شاء أن الله عليم حكيم (١) .

(١) سورة التوبة : ٢٥ - ٢٨ .

ومات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض ، وكان الصحابة يعرفون للعباس فضله ، ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه .  
واستسقى عمر بن الخطاب بالعباس رضى الله عنه عام الرمادة لما اشتد القحط .

فسقاهم الله تعالى به ، فأخصبت الأرض . فقال عمر : هذا والله الوسيلة الى الله ، والمكان منه .

وقال حسان بن ثابت :

سأل الامام وقد تتابع جدينا  
فسقى القمام بفرة العباس

عم النبي وصنو والده الذي  
ورث النبي بذاك دون الناس

أحيا الاله به البلاد فأصبحت  
مخضرة الأجناد بعد الياس

ولما سقى الناس طفقوا يتمسحون بالعباس ، ويقولون : هنيئا لك ساقى الحرمين .

ولما كثر المسلمون في عهد عمر ضاق بهم المسجد ، فاشتري عمر ما حول المسجد من الدور الا دار العباس بن عبد المطلب وحجر أمهات المؤمنين فقال عمر للعباس :

— يا أبا الفضل ، ان مسجد المسلمين قد ضاق بهم . وقد ابتعت ما حوله من المنازل توسع به على المسلمين في مسجدهم الا دارك وحجر أمهات المؤمنين اما حجر أمهات المؤمنين فلا سبيل اليها ، واما دارك فبيعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين أو سع بها في مسجدهم .

فقال العباس :

— ما كنت لأفعل .

قال عمر :

— اختر منى احدى ثلاث : اما ان تبيعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين ، واما ان أخطئك حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من بيت مال المسلمين ، واما ان تتصدق بها على المسلمين .

— لا ، ولا واحدة منها .

— اجعل بينى وبينك من شئت .

— أبى بن كعب .

فانطلقا الى أبى بن كعب فقصا عليه القصة ، فقال أبى :

— ان سئتما حدثكما بحديث سمعته من النبى صلى الله عليه وسلم .

فقالا : حدثنا .

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله اوحى الى داود ان ابن لى بينا اذكر فيه . فخط له هذه الخطة ، خطة بيت المقدس ، فاذا تربيعها بيت رجل من بنى اسرائيل ، فسأله داود ان يبيعه اياه فأبى فحدث داود نفسه ان يأخذه منه ، فأوحى الله اليه ان يا داود امرتك ان تنى لى بيتا اذكر فيه ، فأردت ان تدخل فى بيتى الغصب وليس من شأنه الغصب ، وان عقوبتك ان لا تبنيه ، قال : يا رب فمن ولدى ؟ قال : من ولدك .

فأخذ عمر بمجامع ثياب أبى بن كعب ، وقال :

— جئتكم بشيء فجئت بما هو أشد منه ، لتخرجن مما قلت .

فجاءه يقوده حتى ادخله المسجد فأوقفه على حلقة من اصحاب رسول الله ، فيهم أبو ذر الغفارى فقال :

— انى نشدت الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يذكر حديث بيت المقدس حين أمر الله داود أن يبنيه الا ذكره .

فقال أبو ذر : انا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخر : انا سمعته .

واقبل أبى على عمر فقال :

— يا عمر اتتهمنى على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عمر : يا أبا منذر لا والله ما اتهمتك عليه ، ولكنى كرهت ان يكون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا .

والتفت عمر للعباس وقال : اذهب فلا تعرض لك فى دارك .

قال العباس :

— اما اذ فعلت فاني قد تصدقت بها على المسلمين اوسع بها عليهم في مسجدهم ، فاما وانت تخاصمني فلا .

كان الصحابة يقدرّون العباس ويحترمونه ، فكان العباس اذا مر بعمر بن الخطاب او بعثمان بن عفان ، وهما راكبان ، نزلا حتى يجاوزهما اجلالا لهم رسول الله .

وعن مهيب مولى العباس ، قال : رايت عليا يقبل يد العباس ورجله ويقول ، يا عم ارض عني .

وقد توفي العباس بن عبد المطلب بالمدينة المنورة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب . وقيل ، بل من رمضان ، سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة . وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، ودفن بالبقيع .



فناطمة الزهراء





## مولدها ونشأتها

فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، البضعة النبوة ، والجهة المصطفوية ، أم أبيها بنت رسول الهدى صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة الطاهرة ، سيدة نساء قريش .

كانت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها للرسول الأعظم منذ أول ساعات النبوة .

لقد نزل عليه الروح الأمين أول ما نزل في غار حراء ، فلم يكن ما رآه بشرا من الناس ، ولا خلقا مما يتخيله المتخيلون ، فاقرا . ما شاء الله أن يقرئه من آى الكتاب الكريم ، ثم أخذ يتراءى له في طريقه بين السماء والأرض ، فلا يلتفت يمنة ولا يسرة حتى يراه فيقف لا يتقدم ولا يتأخر كل ذلك ورسول الهدى بين شعاب الجبل ، وفي وحشة الطريق ، فلا أنيس ولا سمر ولا معين ولا نصير .

لم يزل الرسول الكريم في موقفه هذا ، حتى انصرف الملك عنه ، فانصرف هو الى زوجه خديجة فزعا مرعوبا مما سمع ورأى ، فلما بصرت به ، قالت :

— أين كنت يا أبا القاسم ؟ فوالله لقد بعثت رسلى في طلبك حتى بلغوا مكة ، ثم رجعوا الى .

فحدثها رسول الله حديثه ، فقالت :

— أبشر يا بن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة في بده ، انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة .

وقامت خديجة ، فجمعت عليها ثيابها ، وانطلقت الى ابن عمها ورقة ابن نوفل فاخبرته خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ورقة :

— قدوس قدوس ! والذى نفس ورقة بيده كنت صدقتنى يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وانه لنبى هذه الأمة . فقولى له : فليثبت . فرجعت خديجة بقول ورقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكانت آية البشر والبشرى له .

سارت خديجة أم المؤمنين في تثبيت قلب الرسول ، وترويح نفسه ، وتأيد أمره : فلم ير شيئا يحزنه ، من رد عليه ، وتكذيب له ، وسخرية به ، ونفور منه ، إلا فرحت صدره أذهبت حزنه ، وأثلجت قلبه ، وهونت الأمر عليه .

وقد بقي محمد يذكر لها تلك الأيام الى مختتم أيامه ، وظل يتفقدوها ويتفقد موطن ذكرها أعواما بعد أعوام ، قالت عائشة رضى الله عنها :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر خديجة لم يكذب يسأم من ثناء عليها واستغفار لها . فذكرها يوما ، فحملتنى الغيرة فقلت : لقد عوضك الله من كبيرة السن !

فغضب الرسول غضبا شديدا ، فأسقط في يدي وقلت في نفسي : اللهم ان أذهبت غضب رسولك عنى لم أذكرها بسوء . فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما لقيت قال : كيف قلت ! والله لقد آمنت بى اذ كذبتى الناس ، وآوتنى اذ رفضنى الناس ، ورزقت منها الولد وحرمت منه منى .

قالت : فقدوا وراح على بها شهرا .

كانت السيدة خديجة عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة ، ومن كرامتها عليه صلى الله عليه وسلم أنه لم يتزوج امرأة قبلها ، وجاءه منها عدة اولاد ، ولم يتزوج عليها قط امرأة ولا تسرى الى ان قضت نحبها ، فوجد لفقدتها ، فانها كانت نعم القرين ، وقد أمر الله جل جلاله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب .

وقد رزق الرسول من السيدة خديجة بعدد من الاولاد : زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة والقاسم وعبد الله ، ولكن الله لم يشأ لهما ان يعيشا طويلا ، بل ما لبث ان استرد الوديعتين الغاليتين ، أحدهما بعد الآخر . في العام العاشر من زواج الرسول الاعظم والسيدة خديجة الطاهرة .. استعدا لاستقبال ثمرة جديدة للزوجية السعيدة .

وصادف مولدها ، حادثه جليلا في تاريخ الأب ، وتاريخ مكة الدينى اجمع .

كانت قريش تفكر منذ سنوات كثيرة في ان تغيد بناء الكعبة بعد ان تصدعت جدرانها ، وكانت الظروف مهيأة لقريش لتقوم باصلاح الكعبة ،

فقد رمى البحر بسفينة رومية جنحت الى جدة ، فسعى اليها رجال من قريش وعادوا بأخشاب السفينة ، وبرجل مسيحي مصري نجار بناء .

بدأت قريش عملية الهدم والبناء ، وكان أول من بدأ الهدم أبو وهب ابن عمرو بن عائذ بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا ، فوثب في يده حتى رجع الى موضعه كما يروى ابن هشام - فقال :

- يا معشر قريش ، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا ، لا يدخل فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس .

اقتسمت قريش جوانب الكعبة الأربعة : فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة . وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم . وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم عمرو بن هيصم بن لؤى . وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبنى أسد بن العزى . وقد هاب الناس هدمها وفرقوا منه ، فقتل الوليد ابن المغيرة :

- انا ابدؤكم في هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام عليها وهو يقول :

- اللهم لم ترع ، اللهم انا لا نريد الا الخير .

ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا :

- ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله صنعنا فهدمنا .

فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ، حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس اساس ابراهيم عليه السلام أفضوا الى حجارة خضراء كالأسنمة أخذ بعضها بعضا ، فراوا أن يتخذوا هذه الاحجار اساس للبناء الجديد .

بدأ بناء الكعبة من جديد ، وكان بابها لاصقا بالأرض منذ عهد ابراهيم عليه السلام فقال أبو حنيفة بن المغيرة .

- يا قوم ، ارفعوا باب الكعبة حتى لا يدخلها أحد الا يسلم ، فانه لا يدخلها حينئذ الا من أردتم فان جاء أحد ممن تكرهونه رميتم به فسقط وصار تكالا لمن يراه .

جمعت بطون قريش احجارا من الجرانيت الأزرق من الجبال المحيطة بمكة وبدأت البناء حتى بلغ البناء موضع الركن ، أي الحجر الأسود ،

وأصبح ارتفاع البناء حينئذ الى قمة الرجل، وارادوا وضع الحجر الاسود في مكانه في الجانب الشرقى ، فاختلفت بطون قريش على من يحوز شرف اعادة الحجر الاسود الى مكانه واشتدت حدة الخلاف وكاد القتال ينشب بين بطون قريش . فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقبوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت ، وادخلوا ايديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة قسموا لقعة الدم ، ومكثت قريش على ذلك اربع ليال او خمسا ، ثم اجتمعوا في المسجد . فوقف أبو أمية بن المغيرة ، وكان أسن قريش فقال :

— يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم — فيما تختلفون فيه — أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه . .

فوافقوا على هذا الراى ، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما راوه قالوا : — هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى اليهم اخبروه الخبر ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« هلم الى ثوبا » فأتى به ، فاخذ الركن ، فوضعه فيه بيده ، ثم قال : « لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا . ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه ، وبذلك حلت كلمة الوفاق محل الشقاق ، ورضى الكل بحكمه صلى الله عليه وسلم والى قضية التحكيم يشير قول هبيرة بن وهب المخزومي :

تشاجرت الأحياء في فصل خطة  
جرت بينهم بالنجس من بعد اسعد

تلاقوا بها بالبغض بعد مودة  
وأوقد ناراً بينهم شر موقد

فلما رأينا الأمر قد جد جد  
ولم يبق شيء غير سل المهند

رضينا وقلنا العدل أول طالع  
يجيء من البطحاء من غير موعد

فأجأنا هذا الأمين محمد  
فقلنا رضينا بالأمين محمد

## الحسين بن علي

ورجع رسول الهدى ، ليطمئن على سلامة زوجته ، فاذا به يتلقى طفلته الرابعة : فاطمة الزهراء (١)

تفتحت حياة فاطمة على أضواء الرسالة السماوية ، التي راح محمد صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الايمان بها ، وترك عبادة الأوثان .

كان رسول الهدى يجادل الناس بالتى هى أحسن ، ويحاول مخلصا رفع العصائب عن عيونهم ليروا نور السلام ، ويؤمنوا بالله الواحد ، الفرد الصمد . ولكن الارستقراطية القرشية ناصبته العداء ، ولم تصغ الى كلمة الحق . فقد رأت في دعوة الاسلام خطرا يهدد مصالحها الذاتية ، ويقضى على امتيازاتها الطبقية ، فتأمرت للقضاء عليه وعلى دعوته ، ولكن الله حفظ رسوله واتم نوره .

عاشت فاطمة في وسط خضم زاخر من الآلام ، النى تصهر فيها الدعوات .. كانت هى وحدها - دون اخواتها - التى تقف بجوار أبيها حين يلقي عنق الكافرين ، وايداء المشركين .

كانت بالقرب منه يوم سعى الى الكعبة ، حتى استلم الركن ، فما أن رآه بعض الطغاة حتى أسرعوا اليه وأحاطوا به ، وصرخوا فيه :

- أنت الذى تقول كذا وكذا ؟ وأحصوا ما قال من شتم آبائهم ، وعيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم .

فيجيبهم الرسول في صوت هادئ ثابت قوى :  
- نعم ، أنا الذى يقول ذلك .

وشاهدت الزهراء . رجلا منهم ، يثب الى أبيها ، ويشده من ثلابيه، فوقعت مدهولة مدعورة مما يصيب أباه ، أحب الناس اليها ، وهى لا تستطيع أن تفعل شيئا أمام هؤلاء الطغاة . ثم شاهدت أباه يكر يقف دون رسول الله باكيا ، ويقول :

- أقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟

فالتفتوا اليه ، وشرر الغضب يتطاير من عيونهم ، فجذبوه بلحيته ثم لم يدعوه حتى صدعوا رأسه .

---

(١) الزهراء : المشرقة الوجه

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته ، وفاطمة تتبعه ، وترى الناس احرارا وعبيدا يلقونه في الطريق ، يكذبونه ويؤذونه !

وكانت فاطمة أيضا بالقرب منه ، يوم كان ساجدا في البيت العتيق ، وحوله قوم من طفاة قريش ، فجاء « عقبة بن أبي معيط » ، بسلى جزور ، فقفذه على ظهره الشريف ، فلم يرفع الرسول الأعظم رأسه ، حتى تقدمت ابنته فاطمة في شجاعة وثبات ، فأخذت السلى . ورفعت رأسها تدعو على من صنع ذلك ، ثم رفع رسول الله رأسه وقال :

« اللهم عليك المأ من قريش ! اللهم عليك أبا جهل بن هشام . وعتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط ، وأبى بن خلف » .  
ران على القوم صمت عميق حين سسمعوا دعاء النبي ، وبعد سنوات كان هؤلاء جميعا صرعى في القليب بجوار ماء بدر .  
وكانت الزهراء ، هناك بالقرب من أبيها ، يوم خرج الى قريش . وقد نزل عليه قوله تعالى :

« وانذر عشيرتك الأقربين » فجعل رسول الله ينادى :  
« يا معشر قريش ، اشترؤا انفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا .  
يا بنى عبد مناف ، لا أغني عنكم من الله شيئا .  
يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئا .  
يا صفية بنت عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئا .  
ثم نظر رسول الهدى الى ابنته فاطمة ، واستطرد قائلا :  
« ويا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت من مالى ، لا أغني عنك من الله شيئا » .

وتأثرت الزهراء من نداء أبيها ، وكأنى بها قد همست في نفسها مستجيبة ملبية :

« لييك يا أحب والد وأكرم داع »

وليست هذه هى المرة الوحيدة التى يضرب الرسول فيها المثل بابنته فاطمة ، تأكيداً لما يريد نشره في المجتمع من الحق والعدل . فقد روى

التاريخ أن امرأة من قريش سرقَت بعد أن أسلمت ، وبلغ الرسول أمرها فأشفقت تريتس أن يقام عليها الحد ، وتقطع يدها ، فاستشفعوا بها عند الرسول حتى جاءوا أسامة بن زيد ليشفع فيها ، وكان الرسول يشفعه ، فلما فعل ، قال صلى الله عليه وسلم :

« لا تكلمنى يا أسامة ، فإن الحدود إذا انتهت الى ، فليس لها مترك ، ولو كانت بنت محمد فاطمة لقطعت يدها » .

في بيت النبوة ، ومهبط الوحي . درجت فاطمة الزهراء ، وتفتحت عيونها على الحياة ، وتعلمت في دار أبيها ما لم يتعلمه طفلٌ غيرها في مكة : آيات من القرآن وعادات يابها من حولهم العابدون وغير العابدین :

ولكنها قد تعلمتُ كذلك كل ما يتعلمه غيرها من البنات في حاضرة الجزيرة العربية فكانت تضمد جراح أبيها في غزوة أحد ، وكانت تقوم وحدها بصنيع بيتها ولا يعينها عليه أحد من النساء في أكثر أيامها .

لقد نشأت الزهراء نشأة جد واعتكاف : نشأة وقار واكتفاء ، وعلمت مع الأيام أنها سليلة شرف لا منازع لها فيه من واحدة من بنات حواء فيمن تراه ، فوثقت بكفاية هذا الشرف الذى لا يدانى ، وشبت بين انطوائها على نفسها واكتفائها بشرفها كأنها في عزلة بين أبناء آدم وحواء .

مضت سنوات من بعثة الرسول الكريم شاهدت فاطمة خلالها من ألوان العذاب والاضطهاد ما لم تسمع به العرب من قبل ، حتى اضطرب بعض المسلمين الى الهجرة نحو الحبشة ، وطحبت فاطمة أبيها الى شعب أبى طالب ، حيث عاشت هنالك بين أسوار الحصار الدامى سنين عددا ، ثم عادت الى مكة بعد انهيار الحصار ، لتشهد بعينها موت أمها الطاهرة خديجة ، ثم هجرة أبيها الى يثرب وعلى أثره هاجر على بن أبى طالب . وكان قد تمهل ثلاثة أيام في مكة ، ريثما أدى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، الودائع التى كانت عنده للناس .

وبقيت فاطمة وأختها أم كلثوم ، حتى جاء رسول من أبيها فصحبهما الى يثرب . ولم تمر رحلتها بسلام . فانهما ما كادتا تودعان أم القرى ، حتى أخذ اللثام من مشركى مكة يطاردونهما وقد رأهما الحويرث بن نقيد ابن عبد قصى ، وهو ممن أذى الرسول بمكة ، فآلهب راحلته ، ضربا بالسياط حتى لحق بهما وطاردتهما ، حتى نخس بهرهما ، فالتقى بهما

أديم الصحراء ! وكانت فاطمة الزهراء ضعيفة البنية ، نحيلة الجسم ، لم تسترد قوتها بعد من آثار الحصار المنهك ، فما كادت تقوم من وقعته حتى سارت بقية الطريق الى يثرب ، وما تكاد ساقاها تستطيعان حملها مما أصابها من تعب ، وما نالها من نصب .

وقصت الزهراء على الرسول ما صنع الحويرث ، معها ومع أختها . ولم يبق في المدينة من لم يلعن الحويرث ، وسوف تمضي السنوات والرسول لا ينسى الفعلة الآثمة ، حتى اذا جاء العام الثامن من الهجرة ؛ وفتح المسلمون مكة ، أمر الرسول أن يقتل أمراؤه نفرًا من المشركين ، ولو وجدوهم تحت أستار الكعبة ، وكان من بين النفر الذين سماهم الرسول ( الحويرث ) .

وكان حظ الحويرث من القتل على يد علي بن أبي طالب رضى الله عنه .



## زواجها

صارت فاطمة الزهراء زهرة متفتحة في الثامنة عشرة من عمرها . وجاء أبو بكر المصديق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فاطمة فاطرق عليه السلام قليلا ثم قال :

— انتظر بها القضاء .

وسمعت فاطمة ولا ريب بخطبة الصديق اياها وفكرت في الرجل وفيما قال له أبوها فلم تفهم شيئا ، وترقبت ذلك القضاء الذي ينتظره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء عمر بن الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فاطمة فقال له عليه السلام :

— انتظر بها القضاء .

دار حديث في الدار بين فاطمة الزهراء وأم كلثوم وأم ايمن حول خطبة عمر انما طعة ورفض الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الزواج في كياسة وادب وذلك القضاء الذي ينتظره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤد الحوار الى حقيقة تطمئن اليها قلوب اهل البيت .

وفطن أبو بكر وعمر الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ادخر الزهراء لعلي بن أبي طالب ، فجاء الى علي يأمرانه أن يخطبها فنبهاه لأمير كان عنه غافلا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياء بتحية الاسلام . ثم جلس على استحياء قريبا من الرسول الكريم ، لا يذكر شيئا مما جاء من أجله ، وأدرك صلى الله عليه وسلم أن هناك حاجة عند ابن عمه يريد أن يفصح عنها ، فسأله الرسول الكريم :

— ما حاجة ابن أبي طالب ؟

وبصوت خفيض ، اجاب علي ،

ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال الرسول : مرحبا وأهلا .

وأمسك صلى الله عليه وسلم لا يزيد . وطال الصمت ، وانصرف علي تنازعه الحيرة والقلق ، اذ أنه كان يريد افصاحا اكثر من رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، وزاده قلقا هذا الصمت الذى أعقب كلمتى الرسول :  
« مرحبا وأهلا » .

خرج على ووجد فى انتظاره اخوانه واصحابه يترقبون عودته فسألوه :

— ماذا أجابك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

— ما أدرى والله شيئا ، تحدثت الى رسول الله فى الأمر ، فما زاد على  
قوله لى : مرحبا وأهلا .

— يكفيك من رسول الله أحدهما .

وتركه أصحابه ، وقد عاد اليه الأمل والرجاء بعد أن بشره . حتى  
إذا جاء الغد ، توجه الى الرسول مرة ثانية ، ووقف غير بعيد منه ، وقال  
بصوت يسمعه النبی :

— أردت أن أخطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ، فقلت :  
والله مالى من شيء ، ثم ذكرت صلته وعائده فخطبتها اليه .

وتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبشر وخرج الى ربيبه  
وابن عمه وقال له :

— هل عندك من شيء ؟

— كلا .

— وابن درعك الحطمية ( التى تحطم السيوف )

— عندى .

ودفع على بالدرع الى غلامه ليبيعه فانطلق بها الى السوق ، وبينما  
هو يبيعه بأربعمائه درهم اذ رآه عثمان بن عفان فقال :

— هذا درع على فارس الاسلام لا يباع أبدا .

فدفع لغلام على أربعمائه درهم وأقسم أن لا يخبره بذلك ورد الدرع  
معه .

وقال النبی صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك :

انطلق وادع لى أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعدهم من  
الأنصار .

فانطلق ودعاهم ، فلما أخذوا مجالسهم التفت عليه السلام الى على  
ابن أبى طالب وقال :

— يا على اخطب لنفسك .

فقام على فقال :

— الحمد لله شكرا لأنعمه وإياديه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه ، وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتى ابنته فاطمة على صداق مبلغه أربعمائة درهم ، فاسمعوا ما يقول واسعدوا .  
قالوا : ما تقول يا رسول الله ؟

— الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع لسلطانه ، المهرب اليه من عذابه ، النافذ أمره في أرضه وسمائه ، الذى خلق الخاق مقدرته ونيرهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

أن الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا للاحقا ، وأمرنا مفترضا ، بحكما عادلا ، وخيرا جانعا ، وأوشج بها الأرحام ، والزمها الأنام ، فقال الله عز وجل : « وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا » . وأمر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قديده ولكل أجل كتاب يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

ثم أن الله تعالى أمرنى أن أزوج فاطمة من على وأشهدكم أننى زوجت فاطمة من على على أربعمائة مثقال فضة أن رضى بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة ، فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعل نسلها مفاتيح الرحمن ومعادن الحكمة وأمن الأمة . أقول قول هذا واستغفر الله لى ولكم .

وخر على مساجدا شكرا لله . فلما رفع رأسه قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

— بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب .  
ثم أمر لأصحابه يطبق فيه تمر فوضع بين أيديهم فقال :  
— أتهبوا .

وجهزت الزهراء وما كان لها جهاز غير سرير مشروط ووسادة من آدم حشوها ليف ونورة من آدم ( اناء يغسل فيه ) وسقاء ومنخل ومنشفة وقدر ورحاءان وجرتان .

وجاءت ليلة الزفاف فأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها بكبش من عند سعد بن معاذ وآصع من ذرة من عند جماعة من الأنصار ، وقال لعلى :

— لا تحدث شيئا حتى تلقانى :

فجاءت بها ام ايمن حتى قعدت في جانب البيت وعلى في جانب آخر .  
وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة :

— انتنى بماء

فقامت نعثر في ثوبها من الحياء فأتته بقعب فيه ماء ، فأخذه رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لها :

— تقدمى .

فتقدمت يفوح منها عطر طيب فقد أمر الرسول بلالا أن يشتري طيبا  
بثلث الصداق ، فنضج على رأسها وقال :

— اللهم انى عبدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .

ثم قال :

— انتونى بماء .

فعلم على الذى يريد فقام وملا القعب فأتاه به . فأخذه وصنع به كما  
صنع بفاطمة ودعا له بما دعا لها به ثم قال :

— اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شغلهما .

وتلا المعوذتين ثم قال :

— ادخل بأهلك باسم والله والبركة .

فلم تملك فاطمة دمعها ، فتمهل الاب برهة ، وحنا عليها مهونا عليها  
الامر بأنه انما تركها وديعة عند اقوى الناس ايمانا واكثرهم علما وأفضلهم  
اخلاقا واعلاهم نفسا .

\*\*\*

لم تكن حياة الزهراء في بيت زوجها مترفة ولا ناعمة ، بل كانت أقرب  
الى أن توصف بالخشونة والفقر . روى على بن أبى طالب رضى الله عنه ،  
قال :

« بتنا ليلة بغير عشاء فأصبحت فخرجت ، ثم رجعت الى فاطمة عليها  
السلام ، وهى محزونة . فقلت : مالك ؟ فقالت : لم نتعشى البارحة ولم  
نتغد اليوم ، وليس عندنا عشاء ، فخرجت فالتمسيت فأصبحت ما اشتريت  
طعاما ولحما بدرهم ، ثم أتيتها به فخبزت وطبخت ، فلما فرغت من  
انتاج القدر . قالت : لو أتيت أبى دعوته . فاتيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم . وهو مضطجع في المسجد ويقول « اعوذ بالله من الجوع »  
فقلت : يا بى أنت وأمى يا رسول الله عندنا طعام ، فهل . . فتوكأ على  
حتى دخل وألقدت تغور . فقال : « اغرفى لعائشة » فغرفت في صحفة ،  
ثم قال : اغرفى لحفصة فغرفت في صحفة حتى غرفت لجميع نسائه  
التسع . ثم قال : « اغرفى لأبيك وزوجك فغرفت . فقال « اغرفى فكلى »  
فغرفت . ثم رفعت القدر وأنها لتفيض فاكلنا منها ما شاء الله .

كانت الزهراء تقاسى من الشظف والعاقبة ، حتى إن عليا رضى الله عنه  
اشفق عليه يوما من أعباء البيت ، فتمنى لو كانت عنده خادمة تحمل شيئا  
من عبء البيت الثقيل . فانتهاز فرصة موالية ، إذ كان الرسول صلى الله  
عليه وسلم قد عاد من إحدى غزواته الظافرة بفنائم وسبايا ، وقال لها :  
- لقد شقوت يا فاطمة حتى أسليت صدرى . وقد جاء الله بسبى ،  
فأذهبى فالتمسى واحدة تخدمك .

ونعت الزهراء الرحى ، فى وهن وضعف ، ونهضت وهى تقول :  
- أقمل ان شاء الله .

وانتظرت بعض ساعة فى دارها ، ريثما تسترد قواها الذاهبة ، وقامت  
فتلقت بخمارها وخرجت تسعى الى بيت أبيها ، فلما وآها الرسول ،  
هش وبش لها ، ثم سألها :  
- ما جاء بك يا بنية ؟

أجابت :

- جئت لأسلم عليك .

ومنعها الحياء أن تسأله فيما جاءت من أجله .

عادت فاطمة من حيث أتت لتنبئ زوجها أنها استحييت أن تطلب من  
أبيها شيئا ، فعاد بها على ، وصحبها الى الرسول ، وعرض عنها سؤالها ،  
وهى تستمع مطرقة فى حياء .

أجاب رسول الهدى :

- لا والله ، لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تتلوى بطونهم ، لا

ما أنفق عليهم ، ولكن أبيع وأنفق عليهم من الثمن .

وانصرف على فاطمة شاكرين ، وما يدريان أن شكواهما مست قد  
الاب الحنون وشغلته نهاره كله .

وجاء الليل . وكان البرد قارسا ، فرقد، على فراشهما الخشن يحاولان النوم فلا يجدان اليه سبيلا لفرط ما يشعران به من قسوة البرد ، وبينما هما كذلك بحثلان على النوم اذ برسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل عليهما ، وقد انكمشا في غطاءهما مقرورين اذا غطيا راسيهما بدت اقدامهما ، واذا غطيا اقدامهما انكشفت رءوسهما . فهيا للقاء الضيف الكريم . لكنه صلى الله عليه وسلم ، ابتدرهما قائلا :  
- مكانكما .

ثم اضاف في رفق :

- الا اخبركما بخير مما سألتماني ؟

- بلى يا رسول الله .

- كلمات علمنيهن جبريل ، تسبحان الله في دبر كل صلاة عشرا ، ويحمدان عشرا ، وتكبران عشرا . واذا أويتما الى فراشكما تسبحان ثلاثا وثلاثين : وتكبران ثلاثا وثلاثين .

ثم ودعهما رسول الهدى ، بعد أن مدهما بهذا الغذاء الروحي ، وافقهما هذه الرياضة النفسية التي تغلب المصاعب ، وتهزم المتاعب .

وقد سمع على بن أبي طالب ، بعد ثلث قرن ، يذكر القصة لبعض اصحابه : ويقول :

- فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن .

فسأله رجل من أصحابه :

- ولا ليلة صفين .

فاجاب على مؤكدا :

- ولا ليلة صفين .

زار الرسول فاطمة يوما وهى تطحن بالرحى ، وعليها كساء من وبر الابل ، فبكى نبي الرحمة اشفاقا بها وقال لها :

- تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لتعيم الآخرة .

كانت رضى الله عنها تشكو حيناً يعد حين ، ويعودها الرسول يواسيها في مرضها ، وذات يوم زارها ، فوجدها مريضة ، فقال لها :

- كيف تجدينك يا بنية ؟

فأجابت بصوت واهن .

— انى لوجعة . وانه ليزيدنى انى مالى طعام اكله .

فاستعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لها مواسيا :

— يا بنية ، اما ترضين انك سيدة نساء العالمين .

ومضت الايام . . والزهرء سعيدة مع الشظف والفاقة . سعيدة بانعطف فى قاوب كبار ما كان حطام الدنيا عندها ليساوى منقال ذرء من هباء .

ولم تخل هذه الحياة ، وما خلت حياة انسان فط من ساعات خلاف وساعات شكاية ، فربما شكت الزهرء وربما شكا على . وكان الأب ينولى صلحهما فى كل خلاف .

روى ان النبى صلى الله عليه وسلم . رثى ذات مساء وجو يسعى الى دار الزهرء ، بادى الهم والضيق ، فأمضى وقتا هناك ثم خرج ووجهه الكريم يفيض بشرا ، فقال قائل من الصحابة :

— يا رسول الله ، دخلت وانت على حال ، وخرجت ونحن نرى البشر فى وجهك .

فأجاب رسول الهدى :

— وما ينعنى وقد أصلحت بين أحب اثنين الى .

وحدث مرة ان ضاق فاطمة بما تجد من شدة زوجها فقالت :

— والله لاشكونك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخرجت ، وعلى فى أثرها . حتى جاءت أباه فشكت اليه ما أنكرت من زوجها . فتلطف الأب الأكبر فى ترضيتها وحملها على الرفق بعلى واحتماله .

قال على وهو يصحب زوجته الى بيتهما :

— والله لا آتى شيئا تكرهينه أبدا .

ولكن حدث فى حياة الزهرء حادث كاد ان يكون ذا بال . ولم يكن على يظن انه يقدم به على امر يغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم . انما كان يعتقد انه يستعمل حقا خوله اياه الاسلام ، فى ان يتزوج من النساء ما يشاء مثنى وثلاث ورباع .

فقد خطب على بن أبي طالب بنت أبي جهل الى عمها الحارث بن هشام  
ابن المغيرة ، او خطبت هي اليه ، وتوجه بنو هشام الى رسول الله ، وتوجه  
على ايضا الى رسول الله ليقص عليه أمر هذه الخطبة ، ويستشير الرأي  
فيها ، فسأله الرسول :

— أعين — سها تسألني ؟

اجابه على :

— لا ، ولكن أأمرني بها ؟

فاجابه الرسول :

— لا فاطمة بضعة مني ، ولا أحسب الا انها تحزن او تجزع .

فما كان من على رضي الله عنه الا أن قال :

— لا آتي شيئا تكرهه .

وكان خبر الخطبة قد تروى الى سمع الزهراء ، فذهبت غاضبة الى  
ارسل صلى الله عليه وسلم وقالت له :

— يزعم قومك ، أنك لا تفضب لبناتك ! وهذا على ناكح بنت أبي جهل !

كان الموقف يحتاج الى بيان وجلاء ، لم رفض الرسول ، فصعد صلى  
الله عليه وسلم المنبر وقال حين تشهد :

— أما بعد فاني أنكحت أبا الغاصم بن الربيع ، فحدثني وصدقني . وإن  
فاطمة بضعة مني ، واني أكره أن يسوءها ، والله لا تجتمع بنت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد .

أراد الرسول أن يبين أنه بتصرفه لا يحرم حلالا ولا يحل  
حراما فاستطرد :

— واني لست أحرم حلالا ، ولا أحل حراما ، ولكن والله لا تجتمع  
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله .

وأوضح عليه السلام أمر خطبة على لبنت أبي جهل ، وإن أقدامه على  
مثل هذا الزواج ليس أمرا هينا ، فقال :

— إن بني هشام استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم عليا بن أبي طالب  
فلا أذن ثم لا أذن ثم لا أذن . الا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي  
وينكح ابنتهم ، فانما هي بضعة مني يرييني ما أرابها ، ويؤذي ما آذاها .



سمع على كوم الله وجهه كلمات رسول الهدى ، فثاب الى الحقيقة التي كانت غائبة عنه . كيف أقدم على أن يروع أمن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجمع بينها وبين عدو الله في بيت واحد !!

ورجع على عن الخطبة ، وأخذ طريقه الى البيت بخطوات وثيدة ودخل على الزهراء فوجدتها وحيدة ، تدرف دموع الحزن ، فدنا منها ، وأخذ يعتذر لها مستترسلاً :

— هبيني أخطأت في حقك يا فاطمة ، فمثلك أهل للعفو والمغفرة .

فأجابت الزهراء :

— غفر الله لك يا ابن العم .

واغرورقت مقلتا الزهراء بالدموع تأثراً بحب أبيها . وانفعلاً بموقفه . ثم قامت للصلاة .

عاد الى البيت صافياً كما كان قبل أن يمر بتلك التجربة المريرة . ومنضت الحياة تسير بالزوجين الكريمين على ما يراجوان من تعاون ومودة . فاطمة في الدار تقوم على خدمة زوجها بقدر ما تتحمل وتطبق ، وعلى الى جانبها يبذل لها من الحب والرعاية ما يعينها على مشقة العيش الكادح .

وقد آثر الله جل جلاله فاطمة الزهراء بما لم يؤثر به شقيقاتها الثلاث : زينب ورقية ، وأم كلثوم . فكتب لها أن تكون وجسدها الوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة والمنبت الطيب لدوحة الاشراف من أهل البيت .

## أبناء فاطمة الزهراء

كان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن مات بنوه ولم يبق منهم إلا فاطمة ، يريد أن يرى أبناءها وفلذة كبدها يدبون على الأرض فيملئون قلبه سعادة وغبطة .

وكان الله جلت قدرته يعلم بحب الرسول بنبيه وبره بأهله وذويه ، فأكرمه جلت قدرته إيما أكرام ، فأنزل هذه الآية الكريمة على النبي صلى الله عليه وسلم :

« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

فدعا الرسول فاطمة وحسنا وحسينا فجلبهم بكساء وعلى بن أبى طالب خلف ظهره ، وقال : هؤلاء أهل بيتي ، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقالت أم سلمة ، زوجة الرسول : وأنا معهم يا رسول الله ؟

قال : أنت على مكانك ، أنت الى خير .

وعن أبى الحمراء قال : رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر جاء إلى باب على وفاطمة فقال : « الصلاة الصلاة » . « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

وقال تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » .

قال ابن عباس : لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرابة فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه ، قال : « يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم ، لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم » .

أحب الرسول أبناء فاطمة الزهراء ، وكان حبه لهم مضرب الأمثال في بر الآباء بالأبناء وتواضع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم . فقد روى عن أسامة بن زيد أنه قال : طرقت باب النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في بعض الحاجة ، فخرج الى وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو . فلما فرغت من حاجتي قلت : ما هذا الذي أنت مشتمل عليه ؟ فكشف

فاذا الحسن على وركه فقال : هذا ابني وابن ابنتي ، اللهم اني احبه فأحبيه واحب من يحبهما .

وروى عن ابن عباس قال . كان الرسول حاملا الحسن على عاتقه فقال رجل :

— نعم المركب ركبت يا غلام

فقال النبي : وبعم الراكب

وحدث ان الرسول كان بالمسجد يخطب المسلمين ، فاذا الحسن في قميص أحمر يمشى ويعثر فقطع الرسول الخطبة ونزل من المنبر وحمله ووضع بين يديه ثم قال :

— صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة . نظرت الى هذا الصبي يمشى ويعثر ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعته .

روى الزبير بن العوام ان الحسن جاء الى الرسول وهو ساجد فركب رقبته ، فلم ينزله حتى كان هو الذي نزل . كما قال : لقد رأيت به يجيء وهو راكع ، فيفرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر .

حدث حاتم بن اسماعيل عن معاوية بن ابي مزرد عن أبيه عن أبي هريره قال : سمعت اذناي هاتان ، وأبصرت عيناى هاتان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ يكف الحسن وقدماه على قدم الرسول وهو يقول : حزقة حزقة . ترق عين بقية ، فيرقى الفلام حتى يضع قدميه على صدر الرسول ، ثم يقول له : افتح ، ثم يقبله .

ويقول : اللهم احبه فاني احبه .

ومن آيات حب الرسول للحسن ما روى من أن عليا وفاطمة دخلا على الرسول ومعهما الحسن والحسين ، فوضعهما في حجره ، فقبلهما واعتنق عليا باحدى يديه وفاطمة بالآخرى ، فجعل عليهما خميصا سوداء ، وقال :

— اللهم اليك لا الى النار .

احب الرسول الحسين كما احب الحسن سواء بسواء ، فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : حسين مني وانا من حسين ، احب الله من احب حسينا ، وحسين سبط من الاسباط .

كما روى عنه انه قال : « للحسن والحسين ريحانتي من الدنيا » .  
وقد نرب صلى الله عليه وسلم اكرم الامثال في رحمة الابوة وبرها  
وحديها ، ومن دلائل بره عليه افضل الصلاة والسلام بينيه ، ان الحسن  
والحسين كانا يضطرعان بين يديه وهو يقول : هي حسن . فقالت  
فاطمة : لم تقول هي حسن ؟ قال : ان جبريل يقول : هي حسين .  
ذهب الى ابناء فاطمة الزهراء كل ما في قواد الرسول عليه السلام من  
محبة البنين ، وهو مشوق القواد الى الدرية من نسله ، فكان عليه السلام  
لا يطيق آذاهم ، ولا يحب ان يستمع الى بكاء احد منهم في طفولتهم ،  
على كثرة ما يبكي الاطفال الصغار ، خرج من بيت عائشة رضى الله عنها  
فمر على بيت الزهراء فسمع حبيبا يبكي فقال : ألم تعلمي ان بكاءه  
يؤذيني ؟

وكان يقول لها : ادعي الى ابني . فيشمهما ويضمهما اليه ، ولا يبرح  
حتى يضحكهما ويتركهما صاحكين .

كتب المصطفى عليه السلام الى أبي الحارث اسقف نجران ، وما ان  
فص الاسقف الكتاب ، حتى قال لغلمه :  
- ادع لي الساعة شرحبيل .

وكان شرحبيل هذا خازن اسراره . وموضع مشورته ، وذهب  
الغلام ، وعاد معه شرحبيل ، فقال له :

- جاءني اليوم كتاب من محمد بن عبد الله ، يدعوني فيه لدين  
يسمى الاسلام ، ثم يخبرني ان ابيت بين الجزية او الحرب .  
فقال شرحبيل :

- لست في هذا يا مولاي بصاحب رأى على اتنى قد علمت ما وعد  
الله به من النبوة في ذرية اسماعيل ، فما تؤمن ان يكون هذا هو ذاك  
ولكنني تلت ليس لي في النبوة رأى .

واستشار ابو الحارث ثانيا وثالثا ، فما زادوا عن رأى صاحبهم  
شيئا ، فامر ان تدق النواقيس ، وان توقد التيران ، وجاء الناس :

وعرض عليهم امر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتهوا الى  
ان يذهب وفد يحاجون الرسول ويجادلونه ، ثم يرجعوا بما يرون ،  
ومشى وفد نجران الى المدينة ، يرأسهم شرحبيل زعيمهم وصاحب  
كلمتهم ، فما ان رأى رسول الهدى حتى قال له .

— يا محمد ، لقد علمت انا نصارى ، ويسرنا ان كنت نبيا ان نسمع  
ما تقول فى عيسى .

فقال صلى الله عليه وسلم .

— ما عندى فيه شىء يومى هذا ، فاقيموا حتى اخبركم بما يقول  
الله فى عيسى .

ولما أصبح الغد ، نزل عليه قول الله عز وجل :

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن  
فيكون . الحق من ربك فلا تكن من المترين . فمن حاجك فيه من  
بعد ما جاءك من العلم . فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنساءكم ونساءنا  
ونساءكم وانفسنا وانفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

نزلت هذه الآية الكريمة ، فخرج المصطفى عليه السلام ، ومعه أحب  
الناس اليه : على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وفاطمة الزهراء والحسن  
والحسين ودعا وفد نجران ، وردد عليهم ما نزل فى امر عيسى عليه السلام .  
ثم دعاهم الى المباهلة ان ابو الاستجابة لدعوته ونظر شرحبيل الى آل البيت  
النبوي . فوجدهم يفيضون بالنور والتقوى والصلاح سيماهم فى وجوههم ،  
فهابهم القوم . وخافوا ان يباهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال  
شرحبيل :

— دعونا نشتور فيما بيننا ، ثم نقضى اليك بما ينتهى اليه رأينا .

ورجع شرحبيل وقال لأصحابه :

ب يا معشر النصارى ، لا تباهلوا محمدا ، فتهلكوا . فانى ارى معه  
وجرها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لآزله .

ورفض القوم ان يباهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجع اليه  
شرحبيل وقال له :

– ان نباهلك ، بل نصطليح على ما تريد .

فعرض صلى الله عليه وسلم عليهم الاسلام فامتنعوا ، فعرض عليهم الحرب فقالوا :

– مالنا طاقة . فعرض عليهم الجزية . فقالوا : لك ما تريد .

ورجع الوفد الى نجران ، والمصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه :

– والذي بعثني بالحق لو تباهلوا لأمطر الوادى عليهم نارا .

كانت الزهراء وأبنائها وأهل بيت الرسول ، يفيضون بالنور والإيمان ، فهم مصابيح الهدى ، شجرة النبوة ، ومهبط الرسالة ، ومنبع الرحمة ، ومعدن العلم ، يهابهم أعداؤهم ، ويحبهم أنصارهم ، وأحبائهم . ان هيبة بيت النبوة تعلو وجوههم ، فخشيها وفد نجران ، فأبوا المباهلة والملاعنة وفضلوا ان يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

## الحسن بن علي ريحانة الرسول

الحسن بن علي ، ريحانة الرسول ، ولد في النصف من شهر رمضان  
بالمدينة المنورة ، سنة ثلاث من الهجرة .

قالت أم الفضل : يا رسول الله رأيت كأن عضوا من أعضائك في  
بيتي .

قال : رأيت خيرا ، تلد فاطمة غلاما فترضعه بلبن قثم . فولدت  
الحسن فأرضعته بلبن قثم ( ابنها ) .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

« لما ولد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أروني  
ابني ما سميتموه ؟ قلت سميته « حربا » قال : بل هو « حسن » فلما  
ولد الحسين سميناه حربا ، قال بل هو « حسين » فلما ولد الثالث ،  
جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أروني ابني ما سميتموه ؟ قلت :  
سميته حربا ، قال : هو محسن .

قال أبو أحمد العسكري : سماه النبي صلى الله عليه وسلم الحسن  
وكناه « أبا محمد » ولم يكن يعرف هذا الاسم في الجاهلية .

وبلغ من فرح الرسول بمولد هذا الطفل الميمون أن امر بهلق رأسه ،  
وأن يتصدق بزنا شعره فضه ، كما أمر بنحر كبشين وزعت لحومهما  
على الفقراء .

ولد الحسن في هذه البيئة الطاهرة العامرة بالتقوى والإيمان ، وفي هذا  
البيت المتواضع الذي أسس على الفضيلة وخشية الله تعالى ، فكان عينيه  
قد تفتحا على أكرم المشاهد وأعزها عند المسلمين عامة .

وما كاد الحسن يشب عن الطوق حتى أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم  
يعلمه مما علمه الله ، وينشئه على خير ما تنشأ الأولاد . روى عن الحسن  
أنه قال : « علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر :  
اللهم اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ . وتولني فيمن توليت ،

وبارك لى فيما اعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فانك تفضى ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت » .

وقد اخذ الرسول صلى الله عليه وسلم ييث في قلب الحسن الفض حبه الحق والعدل والايتار ، وينفخ في روح الصبى القناعة والرضى . فقد روى عن الحسن انه قال : اذكر من رسول الله انى اخذت تمره من تمر الصدقة فتركها في فمى فنزعها بلعابها ، وجعلها في تمر الصدقة . فقيل : يا رسول الله ، ما كان عليك من هذه التمرة ؟

قال : انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة .

وكان يقول : دع ما يريبك الى ما لا يريبك . فان الكذب ريبة والصدق طمانينة .

اختار الرسول صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى والحسن لم يجاوز الثامنة من عمره ، ولكنه رغم هذه السن الفضة ، وعى الشىء الكثير وتأدب بأداب الرسول الكريم وتخلق بأخلاقه .

ثم بويح ابو بكر الصديق بالخلافة وكان الحسن ما زال يرعى الصبا ، ولم يذكر التاريخ شيئاً عن حياته في عهد أبى بكر ولا في عهد عمر بن الخطاب ، وان كنا نعتقد انه كان ينشأ كما ينشأ فتية الصحابة وأبنائهم : يحفظ القرآن ، ويروى الحديث ويتأدب بأداب السنة الشريفة .

فلما آلت الخلافة الى عثمان بن عفان . كان الحسن قد بلغ العشرين ، اكتملت رجولته ، وبلغ في الأدب وسمو الخلق الغاية ، وأشرف في العلم على النهاية ، فلما هم عثمان بفتح طبرستان أعد لذلك جيشاً بقيادة سعيد ابن العاص ، فانخرط الحسن في سلكه ومعه جلة الصحابة رضوان الله عليهم : عبد الله بن العباس ، وعمرو بن العاص ، والزبير بن العوام ، لانه أحب ان ينال ثواب الغزو في سبيل الله وأجر السعى لاعلاء كلمة الحق . وقد اضطر ملك جرجان الى طلب الصلح من سعيد بن العاص ، وعاد الجيش ظافراً ، وآب الحسن الى المدينة يحيا حياته الأولى ، من اقبال على القرآن والحديث والتفقه فيهما .

ثم امتحن المسلمون بفتنة عثمان وحوصر في داره بالمدينة ، فبعث على بن أبى طالب رضى الله عنه بالحسن الى دار عثمان ليحميه ويشارك مع شباب قريش في الدفاع عنه . ولكن عثمان قتل واجتاحت الفتنة العالم الاسلامى ،



وبويع على بالخلافة وانتقل الى الكوفة . ولا شك ان الحسن والحسين قد رحلوا الى هذه المدينة ليكونا بجوار أبيهما .

لم تصرف الخلافة وأبعتها علي بن أبي طالب عن أخذ الناس بالسوية ، لا فرق في ذلك بين قريب أو بعيد . فقد كان لا يعطى ولديه الحسن والحسين أكثر من حقهما ، فكانا يعيشان في الكوفة عيشة الزاهد المتقشف بعدا عن الدنيا ، وإشارا للأخرة ونوابها .

يقول ابن عبد البر في « الاستيعاب » :

« كان علي إذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئا الا قسمه ، ولا يترك في بيت المال منه الا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك . ولم يكن يستأثر من الفئء بشيء ولا يخص به حميما ولا قريبا ولا يخص بالولايات الا اهل الديانات والأمانات » .

فلما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه لثلاث عشرة بقية من رمضان سنة ٤٠ للهجرة بايعه اهل العراق ، وبقي نحو نحو سبعة أشهر خليفة للعراق وما يليه من خراسان والحجاز واليمن وغيرها . لم تثبت خلافة الحسن أمام قوة معاوية بن أبي سفيان . فآثر أن يتنازل عن الخلافة حقبا لدعاء المسلمين . وكان يقول : ما أحببت أن الى أمر أمة محمد على أن يهراق في ذلك محجمة دم .

روى عن الحسن أنه قال لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما :

— اني رأيت رأيا أحب أن تتابعني عليه .

— ما هو ؟

— رأيت أن اغمد الى المدينة فأنزلها وأخلى الأمر لمعاوية ، فقد طالت الفتنة ، وسفكت الدماء ، وقطعت السبل .

— جزاك الله خيرا عن أمة محمد .

وقد خطب الحسن في وفود اهل العراق فقال :

« انكم بايعتموني على أن تسألوا من سألني وتعاربوا من حاربني .

واني قد بايعت معاوية فاسمعوا وأطيعوا !! » .

صبح معاوية صاحب السلطان المطلق في العالم الاسلامي كله ، وقد اترعن الحسن أنه قال يوم دخل معاوية الكوفة في شهر ربيع الثاني سنة ٤١ هـ :

« الا ان اكيس الكيس التقى وان اعجز العجز الفجور . وان هذا الامر الذى اختلفت انا ومعاوية فيه ، اما ان يكون احق به منى واما ان يكون حقى تركته الله عز وجل لاصلاح امة محمد وحقن دمائكم » . ثم المفت الى معاوية وقال :

ـ « وان ادرى لعله فتنة لكم متاع الى حين » .

كان الحسن ورعا ، ذا سكينة ووقار وحشمة ، يكره الفتن وازاقة الدماء ، ما سمعت منه كلمة فحش قط .

دعاه ورعه وفضله الى ترك الملك والدنيا ورغبة فيما عند الله تعالى ، وكان لا يحج الا ماشيا ، وكان يقول :

ـ انى لاستحى من ربى ان القاه ولم امش الى بيته .

وكان جوادا تقياً يصوم النهار ويقوم الليل .

وقد وصفه محمد بن الحنفية وصفا دقيقا فقال :

ـ « انت عقبة الهدى ، وخلف اهل التقوى ، وخامس اصحاب

الكساء . غدتك بالتقوى اكف الحق ، وارضعتك ثدى الايمان ، وريت في حجر الاسلام » .

ورث الحسن والحسين عن جدهما واييهما فصاحة اللسان ، وقوة

الجنان وحضور البديهة والحلم والكرم .

سأله رجل صدقة ولم يكن عنده ما يسد به رمقه فاستحى ان يرده فقال : الا ادلك على شيء يحصل لك منه بر ؟ قال : بلى ، فما هو ؟ قال : اذهب الى الخليفة فان ابنته توفيت واتقطع عليها وما سمع من احد تعزية . فعزه بقولك له : « الحمد لله الذى سترها بجلوسك على قبرها ولا هتكها بجلوسها على قبرك » ، فذهب الرجل وفعل ما قال له : فذهب عن الخليفة حزنه وأمر له بجائزة وقال له : اكلامك هذا ؟ قال : لا . بل كلام فلانة .

قال : صدقت فانه معدن الكلام الفصيح ، وأمر له بجائزة اخرى .

ان من يلوذ بأهل البيت ، لا يرد خائبا بل يثاب ما يريد وفوق ما يريد ، فانهم منبع الكرم والجود والاحسان . قد كان في استطاعة الحسن ان يعتذر لمن سأله بأنه ليس لديه شيء يعطيه ويكون عذره وقتئذ مقبولا ،

ولكنه التمس له طريقة يفرج بها كرب السائل فأشار عليه بما تقدم فنال الخير الكثير .

خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، رضى الله عنهم حجاجا . فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا وعطشوا وقد فاتهم ائصالهم ، فنظروا الى خباء فقصدوه فاذا فيه عجوز ، فقالوا : هل من شراب ! فقالت نعم . فأتاخوا بها وليس عندها الا شويهة . فقالت : اطلوها واشربوا لبنها ، ففعلوا ذلك . فقالوا لها : هل من طعام ؟ قالت : هذه الشويهة ما عندي غيرها ، فانا اقسم عليكم بالله الا ما ذبحها احدكم حتى اهيبى لكم الحطب فاشووها وكلوا . ففعلوا ذلك . واقاموا عندها حتى ابردوا . فلما ارتحلوا من عندها ، قالوا لها : يا هذه ، نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين ، فالى بنا فانا صانعون بك خيرا ان شاء الله تعالى . ثم ارتحلوا . وأقبل زوجها فأخبرته الخبر فغضب وقال : ويحك أتدبحين ثانيا لنوم لا نعرفهم ثم تقولين نفر من قريش !

ثم بعد دهر طويل أصابت المرأة وزوجها السنة فاضطرتهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلا يلتقطان البعر فمرت العجوز في بعض سكك المدينة ومعها مكتلها تلتقط فيه البعر ، والحسن رضى الله عنه جالس على باب داره ، فنظر اليها فعرفها فناداها وقال لها : يا أمة الله . هل تعرفيننى ؟ فقالت : لا . فقال : انا احد ضيوفك يوم كذا ، سنة كذا في المنزل الفلانى .

فقالت : بأبى انت وامى ، لست اعرفك !

قال : فان لم تعرفيننى ، فانا اعرفك . فأمر علامه فاشتري لها من غنم الصدقة الف شاة وأعطاه ألف دينار وبعث بها مع غلامه الى أخيه الحسين رضى الله عنه . فلما دخل بها الغلام على أخيه الحسين عرفها وقال : بكم وصلها أخى الحسين ؟ فأخبره فأمر لها بمثل ذلك . ثم بعث بها مع الغلام الى عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما . فقال : والله لو بدأت بى لاتعبتهما وأمر لها بألفى شاة وألفى دينار . فرجعت وهى أغنى الناس .

كان الحسن رضى الله عنه حاد الذكاء حاضر البديهة ، قوى الحجة ، معدن الفهم ، وينبوع العلم ، اغتسل رضى الله عنه وخرج من داره فى بعض الايام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومجاسن سافرة فعرض له فى طريقه شخص من فقراء اليهود وعليه مسح من جلود ، قد انهكته العلة ،

وربكنه الفلة والدلة ، وشمس الظهيرة قد شوت شواء وهو حامل جرة ماء على قناه .

فاستوقف الحسن رضى الله عنه ، وقال :

- يا ابن رسول الله ، سؤال ؟

قال : ما هو ؟

قال : جددك يقول : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . وانت مؤمن وأنا كافر . فما أرى الدنيا الا جنة لك تنعم بها ، وما أراها الا سجنا على قد اهلكنى ضيرها واجهدنى فقرها .

قال الحسن : يا هذا ، لو نظرت الى ما اعد الله لى فى الآخرة لعلمت انى فى هذه الحالة بالنسبة الى تلك سجن . ولو نظرت الى ما اعد الله لك فى الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن فى جنة واسعة » .

عرف اليهود منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بالدس وصنع الأكاذيب والنزعات وتشكيك المسلمين فى عقائدهم وقد حاربهم الرسول فى المدينة واجلاهم عنها لخيانتهم وتقضهم اليهود والمواثيق . وقد أسلم بعضهم عن عقيدة صحيحة لكن بقى اكثرهم حانقا على المسلمين . وكان رأس المنافقين عبد الله بن أبى سلول الذى راح يبيت الفتنة ، ويدبر المؤامرات ضد الرسول والذين آمنوا معه ، وعبد الله بن ساء الذى صار يتنقل فى البلدان وينشر الدعاية ضد عثمان بن عفان رضى الله عنه ويحض على الثورة .

وفى هذه القصة التى ذكرناها نجد أن هذا اليهودى يعترض على الحسن لما رآه يرتدى ملابس فاخرة ويذكر له حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . فكيف يتنعم الحسن فى الدنيا وهو مؤمن ويشقى اليهودى وهو كافر ؟ ولماذا لا يكون حالهما بالعكس اذا كان حديث رسول الله صادقا ؟ سؤال يريد به احراج الحسن من جهة وتشكيكه فى حديث الرسول من جهة أخرى . لكن الحسن رضى الله عنه كان حاضر البديهة . فأجاب بجواب مقنع مفحم حيث أوضح له أن حالته التى يشكو منها انما هى كالجنة بالنسبة الى عذاب الآخرة الذى اعد للكافرين وأن حالة الحسن التى ظنها نعيما انما هى كالسجن بالنسبة الى نعيم الجنة الذى عد للمؤمنين .

توفي الحسن سنة تسع وأربعين ، وقيل سنة خمسين ، وقيل انه مات مسموما . دخل الحسين على الحسن رضى الله عنهما في مرضه فقال :

- يا أخى انى سقيت السم ثلاث مرات . فلم أسق مثل هذه المرة ، انى لفظت كبدى .

قال الحسين . من سقاك يا أخى ؟

- ما سؤالك عن هذا ؟ تريد ان تقاتلهم ، كلهم الى الله .

وقد اختلف المؤرخون في سبب موت الحسن ، فزعم قوم انه نزع ظهره قدمه في الطواف بزج مسموم ، وقال آخرون . ان معاوية دس الى جعدة بنت الاشعث بن قيس ان تسم الحسن ويزوجها يزيد ، فسمته وقتلته . فقال لها معاوية : ان يزيد منا بمكان ، وقد يصلح له من لا يصلح لابن رسول الله ! وعوضها عنه مائة الف درهم .

!! حضرت الحسن الوفاة قال لأخيه الحسين :

- قد كنت طلبت الى عائشة اذا مت ان تأذن لى فادفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاطلب ذلك اليها . فان طابت نفسها فادفنى في بيتها . وما أظن الا القوم سيمنعونك اذا اردت ذلك . فان فعلوا فلا تراجعهم في ذلك وادفنى في بقيع الفرقد .

فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة رضى الله عنها فطلب ذلك اليها فقالت : نعم وكرامة فبلغ مروان فقال : والله لا يدفن هناك أبدا ، منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ويريدون دفن الحسن في بيت عائشة ، فبلغ ذلك الحسين فدخل هو ومن معه في السلاح وتسليح بنو أمية ايضا ، وكادت الفتنة أن تقع بين بنى هاشم وبنى أمية ، لولا كلمة من عبد الله بن جعفر لابن عمه الحسين ، قال :

- عزمت عليك بحقى الا تكلم بكلمة .

ومضى بابن عمه الحسين الى البقيع حيث ثوت أمه السيدة فاطمة الزهراء .

حدث ثعلمة بن أبى مالك قال :

- شهدت الحسن يوم مات ودفن في البقيع ، فلقد رأيت البقيع ، ولو طرحت فيه ابرة ما وقعت الا على رأس انسان .  
عاش الحسن بن على زاهدا ، ومات زاهدا ، طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه .

## الحسين بن علي

### سبط الرسول

الحسين بن علي بن أبي طالب ، يكنى أبا عبد الله سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وريحانته ولد بالمدينة المنورة ، لخمس خلون من شهر شعبان سنة أربع من الهجرة . وقد أمر الرسول بأن يتصدق بزنة شعره فضة ، كما أمر بنحر كبشين وزعت لحومها على الفقراء .

ولقب بالقباب أشهرها : الزكي . الرشيد . الطيب . الوفي . السيد . المبارك . والتابع لرضا الله والسبط .

وكانت أمه فاطمة الزهراء ترقصه وتقول :

أن بنى شبه النبي ليس شبيها بعلي

وكان الحسن رضي الله عنه شبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه به صلى الله عليه وسلم من الصدر إلى ما سفل منه . وكان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير ، واسع الجبين . كث اللحية ، واسع الصدر ، عظيم المنكبين ، ضخم العظام ، رحب الكفين ، والقدمين ، رجل الشعر ، متماسك البدن ، أبيض مشرباً بحمرة ، حسن الصوت .

شبه الحسين في بيئة زكية كما شبه أخوه الحسن ، كانا صبيين في الخير والفضل ووفرة الإيمان ، وقد رضعوا من لبان التقى وربيما في كنف الهداية والإيمان .

نشأ الحسين كما نشأ الحسن في حجر النبوة الطاهرة ، تتفتح أكماله على نور الهداية ، وتكتحل عيناه بمشهد أكرم الخلق ، يلتقط منه ما يسمع من حديث أفوح من المسك ، وأندى من الندى ، غذته الزهراء ونشأه على ورعاه المصطفى عليه السلام . فما كاد ينطق حتى أخذ يتعلم الأدب ، وحفظ القرآن والصلاة والصوم . يحضر مجالس الصحابة ويدب في مهابط الوحي . ترمقه العيون ، وتتبعه الأحداق في أعجاب وحب واعزاز .

قبض الرسول صلى الله عليه وسلم والحسين لم يزل صبياً لم يشب عن الطوق .. وبويح أبو بكر الصديق وهو لم يزل غص الأهاب ، ثم ماتت

امه فاطمة الزهراء ، فذاق مرارة اليتيم ، ولكن بر ابيه وحده عليه ورعايته اياه قد انساه ما يعانیه من حزن عميق .

ولما ولي عمر بن الخطاب امر الخلافة لم يكن الحسين قد بلغ الحلم بعد ، فلما بويج عثمان بن عفان كان قد جاوز العشرين من العمر ، فأضحى فتى في حكمة الشيوخ يافعا في زهد النساك وتعبدهم ، عالما في وقار العلماء ، أخذ من العلم بقسط وافر واغترف مناهل الفضائل ومكارم الاخلاق . فلما دعا الداعي الى الجهاد في سبيل الله ، لم يتردد ، بل كان في طليعة الذين سارعوا خفانا غير ثقال للاشتراك في الجيش الذي سار لفتح طبرستان بقيادة سعيد بن العاص .

ولم يركن الحسين الى الدعة والترف ولم يأخذ نفسه بما يأخذ به الشبان انفسهم من لهو او ايثار عافية ، بل سارع الى القتال غير هيباب ولا وجل .

وعندما حاصر الثوار عثمان بن عفان في داره بالمدينة ، هب على بن ابي طالب يدافع عنه ، فأرسل ابنه الحسن والحسين يدودان عنه العدوان ، ولكنهما لم يستطيعا لارادة الله تعالى دفعا فقد اغتيل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبويج على بن ابي طالب كرم الله وجهه وانتقل الى الكوفة فانتقل معه ولداه الحسن والحسين . وقد شهد الحسين مع ابيه موقعة الجمل ، وحارب معه يوم صفين ، واسهم في قتال الخوارج .

ولما قتل على بن ابي طالب رضي الله عنه واخذت البيعة للحسن ، كان الحسين في طليعة من بايعه وايدوه وشد أزره ونصره ، فلما نزل الحسن لمعاوية عن الخلافة واثّر العافية لم يوافق الحسين واثار عليه بالقتال ، فغضب الحسن وقال له : والله لقد هممت ان اسجنك في بيت وأطعن عليك بابي ، حتى اقضى بشأني هذا وافرغ منه ثم اخرجك . فلم يراحه الحسين بعدها واثّر الطاعة والسكوت ، وهذا مثل كريم يضربه الحسين في آداب الاسرة .

لما توفي معاوية سنة ٦٠ هـ كان على المدينة الوليد بن عتبة بن ابي سفيان فكتب يزيد بن معاوية الى الوليد « من يزيد امر المؤمنين الى الوليد ابن عتبة ، اما بعد ، فان معاوية كان عبدا من عباد الله اكرمه الله واستخلفه وخوله ومكن له فعاش بقدر ومات باجل ، فرحمه الله فقد عاش محمودا ومات برا تقيا والسلام .. »

ثم اضاف : اما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة اخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام .

فلما قرا الوليد للحسين الكتاب ونعى اليه معاوية ، قال الحسين :  
انا لله واليه راجعون ورحم الله معاوية ، اما البيعة فان مثلي لا يعطى بيعته  
سرا ولا اراك تقنع بها منى سرا .

قال : اجل .

فقال الحسين : فاذا خرجت الى الناس فدعوتهم الى البيعة دعوتنا معهم  
فكان الامر واحدا . .

وكان الحسين رضى الله عنه قد عول على ترك المدينة الى مكة ، كما تركها  
قبله بليتين عبد الله بن الزبير ، دون مبايعة يزيد ، فخرج منها ومعه جل  
أهل بيته وأخوته وبنو أخيه . فلما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وعلموا  
امتناع الحسين عن بعة يزيد ونزوله مكة اجتمعت الشيعة وكتبوا اليه  
كتبا جاء فيها :

« انه ليس علينا امام فأقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق . ثم  
سرحوا عدة رسل بالكتب اليه ، وتلاقت الرسل كلها عند الحسين فكان يقرأ  
الكتب ويسأل الرسل عن الناس . ولبت في مكة على هذه الحال اربعة  
اشهر . ثم دعا ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب وأمره بالمسيره الى  
الكوفة فان رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل اليه بذلك .

خرج مسلم حتى اتى المدينة ، فأخذ منها دليلين ، فهرا في البرية ،  
فأصابهم عطش ، فمات احد الدليين ، فقدم الكوفة ، ونزل على رجل يقال  
له « عوسجة » فاما علم أهل الكوفة بقدومه دنوا اليه ، فبايعه منهم اثنا  
عشر ألفا على ذلك ، فقام رجل من انصار يزيد بن معاوية الى النعمان بن  
بشير والى الكوفة فقال :

— انك رجل ضعيف أو مستضعف ، قد فسد البلد .  
فقال له النعمان :

— لان اكون ضعيفا في طاعة الله أحب الى من أن اكون قويا في معصيته .  
ما كنت لأهتك ستره الله .

وعزل يريد النعمان وولى عبيد الله بن زياد مكانه .

لم يعتبر الحسين بما فعله أهل الكوفة مع أبيه وأخيه من قبل ، اذ  
عزم على الخروج الى العراق ولما رأى عبد الله بن العباس اصرار الحسين  
على الخروج قال له :



اتسیر الى قوم قد قتلوا امیرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم ؟ فان كانوا قد فعلوا ذلك فسر اليهم ؟ وان كانوا انما دعوك اليهم وامیر عليهم قاص لهم وعماله تجبى بلادهم فانهم انما دعوك الى الحرب والقتال ولا آمن عليك ان يفروك ويكذبوك ويخالفوك ويخدلوك ، وان يستنغروا اليك فيكونوا اسد الناس عليك .

فقال له الحسين : واني استخير الله وانظر ما يكون .

ابی الحسين الا ان يمضى الى غايته ، فقال له عبد الله بن العباس :

— فان كنت سائرا ، فلا تسر بنسائك ، وصبيتك ، فاني لخائف ان تقتل كما قتل عثمان ونسائه وولده ينظرون اليه .

لم يلتفت الحسين الى نصيح الناصحين ، بل سار الى الكوفة في فئة قليلة لم يجاوز عددها ثمانين رجلا ، فلما اقترب منها ، بلغه نبأ مصرع مسلم ابن عقیل فقال له بعض أصحابه :

— نشهد لك الله الا رجعت من مكانك ، فانه ليس لك بالكوفة ناصر بن نتخوف ان يكونوا عليك .

فونب بنو عقیل وقالوا :

— والله حتى ندرك ثارنا او نتذوق ما ذاق مسلم .

فقال الحسين : لا خير في العيش بعد هؤلاء .

فقال له بعض اصحابه :

— انك والله ما انت مثل مسلم بن عقیل ، ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك اسرع .

سار الحسين حتى وصل الى كربلاء ، وتتابع ارسال الجيوش لقتاله ، والتقى الحسين بجيش عبيد الله بقيادة الحر بن يزيد في الف فارس ، وكانوا يلزمونه ويصدونه عن كل جهة الا نحو الكوفة مفر اميرهم عبيد الله ابن زيادة ، فقال يعظهم :

« ايها الناس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان . فلم يغير ما عليه بفعل ولا بقول كان حقا على الله ان يدخله مدخله ، الا وان هؤلاء لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، واظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالغي واحلوا حرام الله وحرّموا

«لأله ، وأنا أحق من غري وأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفسي مع أنفسكم واهلي من اهلكم فلكم في أسوة ، وإن لم تفعلوا ، ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي ، فلعمري ما هي لكم بنكيره والمرور من اغتر بكم ، فحفظكم أخطائكم ونصيبكم ضيعتكم » ومن نكث، فأنما ينكث على نفسه « ، وسيغنى الله عنكم والسلام » .

وفي اليوم التالي لنزوله كربلاء ، جاء عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف مقاتل ، موفدا من عبيد الله بن زياد لقتاله ، ثم انضم إلى جيشه الحر بن يزيد ، فلما سئل الحسين عما جاء به ، قال رضي الله عنه :

— كتب إلى اهل مصركم هذا ان اقدم عليهم فاما اذكرهوى فاني انصرف عنكم إلى مكة .

فكتب عمر إلى ابن زياد بذلك ، ثم التقى الحسين وعمر مرارا ، فكتب عمر إلى عبيد الله بن زياد : « أما بعد ، فإن الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه ، أو أن نسيره إلى أي نجر من الثغور شئنا أو يأتي يريد أمير المؤمنين فيضع يده في يده . وفي هذا لكم رضا وللامة صلاح » .

فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه . نعم . قبلت . ولكن شعر بن ذى الجوشن رفض هذا الرأي ، وقال له :

اتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك ، والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكون أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت كنت ولي العقوبة ، وإن عفوت كان ذلك لك .

أخذ ابن زياد برأي شعر فأرسله بكتاب إلى عمر جاء فيه :

« ... انظر فإن نزل الحسين وأصحابه عن الحكم واستسلموا فأبعث بهم إلى مسلما ، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون . فإن قتل الحسين فأوطيء الخيل صدره وظهره فإنه هاق شاق قاطع ظلوم ، فإن أنت مضيت لأمرنا خزيناك جزاء السامع المطيع ، وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شعر بن ذى الجوشن وبين العسكر والسلام » .

جمع الحسين رضى الله عنه أصحابه وقال :

— اثنى على الله احسن الثناء واحمده على السراء والضراء ، اللهم انى  
أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة ، وجعلت لنا أسمعا وأبصارا وأفئدة وعلمتنا  
القرآن وفقهتنا في الدين فاجعلنا لك من الشاكرين ، اما بعد :

فانى لا اعلم اصحابا اوفى ولا خيرا من اصحابى ، ولا اهل بيت ابر ولا  
أوصل من اهل بيتى ، فجزاكم الله جميعا خيرا ، لقد بررتم وعاونتم ، والقوم  
لا يريدون غيرى احدا وانى لأظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا ، وانى قد  
أذنت لكم جميعا فانطلقوا في حل ليس عليكم منى ذمام . هذا الليل قد  
غشيكم فتفرقوا في سواده وانجوا بانفسكم .

فقال له اخوته وابناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر :

— لم نفعل هذا لنبقى بعدك لا أرادنا الله ذلك أبدا ، وبداهم بذلك  
العباس ابن على واتبعته الجماعة فتكلموا بمثله وقالوا :

— معاذ الله . وما نقول للناس اذ رجعنا اليهم ؟ نقول تترتنا سيدنا  
وبنى عمومتنا خير الأعمام ، ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ،  
ولم تضرب بالسيف . ولا ندرى ما صنعوا ، لا والله لا نفعل نفديك بأنفسنا  
وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك . فقبح الله العيش بعدك .

وقام اليه مسلمة بن عوسجة الأسدى فقال :

— انحن نتخلى عنك ولم نعلم الى الله في أداء حقك ، أما والله لا افارقك  
حتى اكسر في صدورهم رمحى وأضربهم بسيفى ما يثبت قائمه يدي ، ولو  
لم يكن معى سلاحى لقدفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك .  
وتكلم أصحاب بنحو هذا ،

وكان على بن الحسين تلك العشية مريضا تمرضه عمته السيدة زينب  
فسمع أباه وهو في خباء له وعنده جوين مولى أبى ذر الغفارى يعالج سيفه  
ويصلى والحسين يقول :

يا دهر اف لك من خليل  
كم لك بالاشراق والأصيل  
من صاحب أو طالب قتيل  
والدهر لا يقنع بالبديل  
وانما الأمر الى الجليل  
وكل حى ، مالك السبيل

وأعادها مرتين أو ثلاثا فأدرك ما اعتزمه والده ولزم السكوت ، وسمعته زينب بنت الزهراء فلم تملك ان وثبت تجر ثوبها حتى انتهت اليه ونادت :

— وائتلاه ! ليت الموت أعدمنى الحياة اليوم ، ماتت أمى فاطمة ، وعلى أبى ، وحسن أخى ، يا خليفة الماضى ، وثمان الباقي .

فنظر اليها الحسين وقال :

— يا أخية لا يدهبن بحلمك الشيطان .

قالت :

— يا أبى إئت وأمى يا أبا عبد الله ، نفسى فذلك !

قال الحسين :

— لو ترك القطا ليلا لنام

فقال :

— واولتاه ! افتفصبك نفسك اغتصبا فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسى وأطول لحزنى ، وخرت مغشيا عليها .

فقام اليها الحسين فصب الماء على وجهها ، وقال :

— اتقى الله وتعزى بعزاء الله واعلمى أن أهل الأرض يموتون ، وأهل السماء لا يبقون ، وأن كل شئ هالك الا وجه الله . أبى خير منى وأمى خير منى ، وأخى خير منى ، ولى ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة . فمزأها بهذا ونحوه ، وقال لها :

— يا أخيه أنى أقسم عليك لا تشقى على جيبى ، ولا تخمشى وجهى ، ولا تدعى على بالويل والثبور . ان أنا هلكت .

ثم خرج الى أصحابه فأمرهم ان يقربوا بيوتهم من بعض وان يدخلوا الاطناب بعضها فى بعض ، ويكونوا بين يدى البيوت فيستقبلون القوم من وجه واحد ، والبيوت عن يمينهم ، وعن شمالهم ومن ورائهم ، ورجع الى مكانه فقام الليل كله يصلى ويستغفر ، وقام أصحابه كذلك يصلون ويستغفرون ويدعون . وخبول حرس عدوهم تدور من ورائهم ، تحرسهم حتى لا يفر أحد منهم ، وكأنها كان يريد القوم قتلهم كلهم ، والقضاء عليهم جميعهم .

وفي صباح اليوم التالي دارت المعركة الرهيبة بين الآلاف والعشرات...  
وجعل أصحاب الحسين رضي الله عنه ، يتقدمون رجلا بعد رجل فقاتلوه  
قتالا مرا ، ولما استشهد أصحاب الحسين ، برز شباب بنى هاشم بدورهم ،  
بدافعون عن والدهم ، وعمهم وابن عمهم ونسبهم ، بقلوبهم وسدورهم .  
وكان على بن الحسين رضي الله عنه ، من أصبح الناس وجها ، وأكملهم  
دبا . فتقدم للقتال قبل غيره ، وهو ما يزال في التاسعة عشرة من عمره ،  
شد على الجيش وهو يقول :

انا على بن الحسين بن علي . نحن ورب البيت اولى بالنبي  
تا الله لا يحكم فينا ابن الدعي

فعل ذلك مرارا ، يحمل فيرد من امامه من شدة حملته حتى صدمه  
مرة بن منقل العبدى فطعنه فصرعه ، فلما رآه الحسين قال :  
— قتل الله قوما قتلوك يا بنى ! ما أجراهم على الرحمن وعلى انتهاك  
حرمة الرسول ، على الدنيا بعدك العفاء .

واقبل الحسين فقال :

— احمولوا أخاكم . . فحملوه من مكانه حتى وضعوه بين يدي القسطنطين  
الذي كانوا يقاتلون امامه . واندفعت من خيام النساء امرأة كأنها الشمس  
طالعة ، تنادى في جزع :

— يا أخياه ! ويا ابن أخياه ! . واكبت عليه . فجاءها الحسين فأخذها  
بيدها فردها الى القسطنطين فسأل عنها من لا يعرفها ، فقيل :  
— هذه زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله .

وتتابعت قتلى بنى هاشم فسقط عبد الله بن مسلم بن عقيل ، وعون  
ابن عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن عبد الله بن جعفر ، وعبد الرحمن بن عقيل  
ابن أبى طالب ، وجعفر بن عقيل .

ثم خرج القاسم بن الحسن بن علي ويده السيف ، وهو غلام كان وجهه  
شقة القمر ، فحمل عليه عمرو بن سعد بن نفيل الأزدى ف ضرب رأسه  
بالسيف ، فسقط القاسم على الأرض لوجهه وهو يقول :

— يا عماء !

فانقض الحسين عليه كالصقر ثم شد شدة ليث اغضب ، وضرب عمرو  
بالسيف فاتقاه بالساعد فقطعها من المرفق .

وحملت خيل القوم ليستنقدوا عمروا فاستقبلته بصدورها وجالت عليه بفرسانها فوطئته حتى مات .

وانجلت الغبرة والحسين واقف على راس القاسم ، وهو يفحص برجليه ، والحسين يقول :

— بعدا لقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك .

ثم قال :

— أعز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا ينفعك !

ثم احتمله على صدره حتى القاه مع ابنه على ومن قتل معه من أهل بيته .

رجع الحسين الى فسطاطه . فتقدم اليه شمر بن ذى الجوشن برجالة ، وهو يحرضهم عليه . وأقبل الى الحسين عبد الله بن الحسن بن علي وهو غلام لم يراهق فقام الى جنبه وقد أهوى بحسر بن كعب الى الحسين بالسيف فقال الغلام :

— يا ابن الخبيثة أتقتل عمي !؟

فضربه بالسيف فألقاه الغلام بيده ، فقطعها الى الخلد ، نصيب غلام فاعتنقه الحسين وقال له :

— يا ابن أخى ، اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير ، فان الله يلحقك بآبائك الصالحين .

ورفع الحسين بصره الى السماء يناجى الله قائلا :

— اللهم أمسك عنهم قطر السماء ، وأمنعهم بركات الأرض ، اللهم فان نعمتهم الى حين ففرقهم/ فرقا ، واجعلهم طرائق قددا ، ولا ترض عنهم الولاة أبدا ، فانهم دعونا لينصرونا ، فعدوا علينا فقتلونا .

ثم قاتل من امامه فانكشفوا عنه وبقي الحسين في ثلاثة رهط او اربعة . ولما قتلوا وبقي الحسين وحده ، وقد ائخن بالجراح في رأسه وبدنه ، حمل الناس عليه عن يمينه وشماله ، فحمل على الذين عن يمينه ، فتفرقوا ، ثم حمل على الذين عن يساره فتفرقوا ، فما رأى رجل قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جنانا ، ولا أجرا مقدما منه . اذ كانت الرجالة لتكشف عن يمينه وشماله كلما شد عليها ، وبينما هو كذلك اذ خرجت زينب وهى تقول :

— ليت السماء انطبقت على الأرض . ونظرت الى عمر بن سعد وقالت :

— يا عمر ، أيقبل أبو عبد الله وانت تنظر !؟

فدمعت عيناه حتى سالت دموعه على خديه ولحيته ، وصرف وجهه عنها والحسين يقاتل قتال الفارس الشجاع ، يتقى الرمية ، ويشد على الخيل وهو يقول :

— أعلی قتلی تجتمعون ! أما والله لا تقتلون بعدي عبدا من عباد الله أسخط عليكم لقتله مني . وأيم الله لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله أن لو قد قتلتموني لفد القى الله بآسكم بينكم وسقك دماءكم ، ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم .

ومكث طويلا من النهار ، ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ، ويحب أن يكفيهم هؤلاء . فلما رأى ذلك شمر بن ذى الجوشن استدعى الفرسان فصاروا في ظهور الرجالة وأمر الرماة أن يرموه ، فرشقوه بالسهم فأحجم عنهم فوقفوا بازائه فنادى شمر في الناس :

— ويحكم ! ماذا تنتظرون بالرجل ! اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم !!

فحملوا ديه من كل جانب ، وضربه زرعة بن شريك التميمي على كفه اليسرى فقطعها ، وضربه آخر على عاتقه فكبا منها لوجهه فانصرفوا عنه ، وهو يقوم ويكبو ، وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي ، قطعنه بالرمح فصرعه ، وبدر اليه خولى بن يزيد الأصبحي فنزل ليحتز رأسه فأرعد .

فقال له سنان :

— فت الله في عضدك ، ونزل اليه وذبحه ، واحتز رأسه ثم دفعه الى خولى وسلب القوم الحسين ما كان عليه وتركوه مسجى في العراء .

وانتهب اناس حمله وابله واثقاله ومتاعه ، وسلبوا نساءه ، حتى ان كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها ، حتى تطلب عليه ، فيؤخذ منها ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة غير الرمية .

روى الدم الزكي ارض العراق ، واهدر دم اهل البيت ، ونكل بهم ، ولما يمضي على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم خمسون سنة ، روى ابو خالد الأحمر قال :

دخلت على أم سلمة وهي تبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟

قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب ، فقلت : مالك يا رسول الله ؟ قال : شهدت قتل الحسين .

وروى عن ابن عباس أنه قال :

- رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرم النائم وهو قائم ،  
اشعث اغبر ، بده قارورة فيها دم . فقلت : أبى أنت وأمى يا رسول  
الله ! ما هذا الدم ؟

قال : هذا دم الحسين لم أزل التقطه منذ اليوم .

\*\*\*

كان لمقتل الحسين رضى الله عنه فى أرض كربلاء اثر عميق فى اذكاء نار  
التشيع فى نفوس الشيعة انصار على بن أبى طالب رضى الله عنه وأولاده  
من بعده ، وتوحيد صفوفهم وكانوا قبل ذلك متفرقى الكلمة ، مشتتى  
الاهواء ، اذ كان التشيع قبل مقتل الحسين رأيا سياسيا نظريا ، فلما قتل  
الحسين ، امتزج التشيع بدمائهم واصبح عقيدة راسخة فى قلوبهم .  
وقد ظهرت طائفة التوابين الذين يدعون الناس للاخذ بثار الحسين ،  
وينظمون القصائد فى رثائه وتحريض الناس على القتال ، من ذلك قول  
عبد الله بن الأحمر .

سحوت وقد صحوا الصبى والعواديا  
وقلت لأصحابى : أجيئوا المناديا  
وقولوا له اذ قام يدعو الى الهدى  
وقيل الدعى : ليك ليك داعيا  
الا وانه خير الناس جدا ووالدا  
حينما لاهل الدين ان كنت ناعيا  
وأضحى حسين للرماح دريئة  
وغودر مسلوبا لدى الطف ثاوية  
فيا ليتنى اذ ذاك كنت شهدته  
فضاربت عنه الشائنين الاعاديا

\*\*\*

قتل الحسين رضى عنه فى العاشر من شهر المحرم سنة ٦١ هـ .  
فارسى الى يزيد بن معاوية الذى رد الرأس الشريف الى الجسد الطاهر ،  
ودفنا فى دمشق ، ثم نقلت فى عهد الفاطميين الى عسقلان بفلسطين ، وكان  
الفاطميون قد اسولوا عليها حين فتحوا بلاد الشام .

فلما تقلد الافضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى الوزارة ، اخرج رأس  
الحسين ، وعطره ، وحمله على صدره ، وسعى به ماشيا ، الى أن أحله فى  
مقره الذى هو فيه بالقاهرة ، حيث المشهد الحسينى .



## السيدة زينب

### عقيلة بنى هاشم

كان البيت النبوى الكريم ينتظر ساعة الوضع فى لهفة وترقب ، ففسد  
اوشكت فاطمة الزهراء رضى الله عنها ان تضع مولودا جديدا بعد ان رزقت  
بالحسن والحسين ، وثالث لم يقدر له ان يعيش هو المحسن بن على .

واذيعت البشرى ان الزهراء وضعت انثى سميت زينب تيمنا بخاله  
الوليدة الجديدة ، السيدة زينب بنت المصطفى عليه السلام .

وذكر فى رواية اخرى : لما ولدت زينب فى شعبان من السنة الخامسة  
للهجرة جاءت بها امها الزهراء الى ابيها على بن ابي طالب رضى الله عنه ،  
وقالت له :

— سم هذه المولودة .

فقال لها :

— ما كنت لأسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان فى سفر له .  
ولما جاء النبى صلى الله عليه وسلم سأل على عن اسمها فقال :

— ما كنت لأسبق ربي تعالى .

فهبط جبريل عليه السلام يقرأ على النبى السلام من الله الجليل ،  
وقال له :

— سم هذه المولودة زينب فقد اختار الله لها هذا الاسم .

ورويت روايات حول مولد زينب حفيدة المصطفى . روايات ان لم يكن  
لها موضع فى كتب التاريخ المحققة تحقيقا علميا ، الا ان لها اثرها فى  
الوجدان .

فقد تحدثوا انه ذاعت نبوءة عند مولدها ، بما ينتظرها من محن وآلام ،  
وبالفجيعة التى ستصاب بها فى كربلاء ، وروى ان سلمان الفارسى رضى الله  
عنه اقبل على على بن ابي طالب رضى الله عنه ، يهنئه بالمولودة الجديدة ،  
فوجده حزينا واجما ، وحدثه عما ستلقاه يوم كربلاء .

وفى سننى الامام احمد بن حنبل ان جبريل اخبر المصطفى عليه السلام  
بمصرع الحسين رضى الله عنه واهل البيت فى كربلاء .

وروى أيضا أن زينب بنت الزهراء كانت تتلو يوما بعض آيات القرآن الكريم ، ثم توجهت تسأل أباهما تفسير بعض هذه الآيات ، فأجابها رضى الله عنه . ثم أستطرد يلحح لها الى الدور الخطير الذى ستلقاه ، فأجابه رضى الله عنها :

اعرف ذلك يا ابى ، اخبرتنى به أمى كيما تهيننى لغدى !

ودعش الامام على ، اذ كانت ابنته تعلم من أمها فاطمة الزهراء ما ينتظرها من أحداث دامية ، فأطرق وجهه صامتا ، وقلبه يخفق رحمة وحنانا وشفقة على ابنته الحبيبة .

عاشت زينب منذ مولدها فى المهد الحزين ، الذى لفته النبوة المؤلمة . . ولقد لقيت من جدها الأعظم كل عطف وحنان ومحبة ، واسبغ عليها نور النبوة والحكمة ، درجت تلك الدرة اليتيمة ، فى بيت الرسالة ، ووضعت لبان الوحي من ثدى الزهراء البتول ، وغديت بغداء الكرامة من كف ابن عم الرسول ، فنشأت نشأة قدسية ، وربيت تربية روحانية ، متجلبية جلابيب الجلال والعظمة ، مرتدية رداء العفاف والحشمة .

وقد فقدت السيدة زينب جدها صلى الله عليه وسلم وهى بنت خمس ، فقدت أمها الزهراء بعد ذلك بشهور قليلة لا تتجاوز السنة ، فحزنت ، لفقدتهما حزنا عميقا جعلها أنضج ادراكا وأرشف حسا ، فنحملت وهى صبية صغيرة ، عبء ادارة بيت أبيها ورعاية شئون اخواتها .

\* \* \*

شبت زينب الطاهرة عن الطوق ، ونما عودها أفضل نماء ، وزكا نباتها الطيب فى روضة النبوة ، ودوحة الرسالة ، وجملها ربها بدنا وروحا ، وطبعا خلقا ، وعندما بلغت مبلغ الزواج تهافت عليها الطلاب من شباب هاشم وقريش ، ذوى الرفعة والشرف . لكن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، اختار لفتاته ، عبد الله بن جعفر .

ابوه جعفر بن أبى طالب ، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، واخو على بن أبى طالب لأبويه ، وكان أشبه الناس بالمصطفى عليه السلام خلقا وخلقا .

وصفه أبو هريرة رضى الله عنه فقال :

« ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطئ التراب بعد رسول الله

صلى الله عليه وسلم افضل من جعفر بن ابي طالب .

وكان الرسول يكتيه ابا المساكين .

هاجر بدينه الى الحبشة ابان اضطهاد الارستقراطية القرشية لدعوة الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه جل جلاله ، ثم رجع مع من رجع من المسلمين ، وصادف وصوله الى المدينة المنورة فتح خيبر فالتزمه الرسول ، وجعل يقبله بين عينيه ويقول :

— « ما ادرى بآيهما انا اشد فرحا ، بقدم جعفر أم بفتح خيبر ؟ »

وانزله الرسول الأعظم الى جنب المسجد .

سار مع كتيبة الايمان التى توجهت الى بلاد الروم فى السنة الثامنة للهجرة ، وقد جعل الرسول لواء ذلك الجيش لزيد بن حارثة ، فان أصيب ، فجعفر بن ابي طالب على الناس .

ومضت كتيبة الايمان حتى اذا كانت بتخوم البلقساء ، لقيتم جيوش « هرقل » فانحاز المسلمون الى قرية « مؤتة » ودارت معركة رهيبة ، قاتل فيها « زيد » براية الرسول الكريم حتى شاطئ (١) فى رماح القوم ، ثم أخذها جعفر بن ابي طالب . فقاتل بها حتى اذا ألحمه القتال عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل . فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الاسلام فرسه .

وروى ان الرسول الكريم لما اتاه نعى جعفر ، دخل على امرأته اسماء بنت عميس ، فعزاها فيه ، ودخلت فاطمة وهى تبكى وتقول :

— واعماه !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— على مثل جعفر فلتبك البواكى .

ودخله من ذلك حزن شديد حتى اتاه جبريل ، فأخبره ان الله قد جعل لجعفر جناحين مخرجين بالدم يطير بهما مع الملائكة فى الجنة .

وكان عبد الله بن جعفر أول مولود ولد فى الاسلام فى هجرة الحبشة ، وبإيعاز الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع سنين ، وزاد حبه له وعطفه عليه بعد موت أبيه جعفر ، حتى انه مسح على رأسه وقال :

— « اللهم اخلف جعفرا فى أهله وبارك لعبد الله فى سفرة يمينه — قالها

ثلاثا — وفيه — وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة » .

(١) يقال : شاطئ الرجل ، اذا سال دمه فهلك .

كان عبد الله كريما واذا حليما ، يسمى بحر الجود . وقد وصفه ابن عباس رضى الله عنهما فقال : « كان الله ذكورا ، ولنعمائه شسكورا ، وعن الخناز جورا ، جواد كريم ، وسيد حليم ، ان ابتداء أصاب ، وان سئل اجاب ، غي حصر ولا هيب ، ولا فحاش عياب ، حل من قريش في كريم النصاب كالهزير الضرغام ، الجرىء المقدام ، ليس يدعى لدعى ، ولا يدنو لدنى » .

ولما مات سنة ثمانين هجرية ، شهد جنازته اهل المدينة كلهم ، ورواه الكثيرون ومنهم أبان بن عثمان أمير المدينة الذي وقف على حافة قبره ، ودموعه تسيل على خديه ، وهو يقول :

- كنت والله خيرا لا شريك ، وكنت والله شريفا واصلا برا .  
وقال هشام المخزومي : أجمع اهل الحجاز والبصرة والكوفة على أنهم لم يسمعوا بيتين أحسن مما كتب على قبر عبد الله وهما :

مقيم الى أن يبعث الله خلقه  
لقاؤك لا يرجى وأنت قريب  
تزيد بل في كل يوم وليلة  
وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

هذا هو الذى اختاره الامام على بن أبى طالب زوجا لابنته الطاهرة زينب ، التى بلغت من تعلق أبيها بها ، ان لقاهما معه ، حتى اذا ولى أمر المسلمين وانتقل الى الكوفة ، انتقلت وزوجها فعاشا في مقر الخلافة في رعاية أمير المؤمنين .

خرجت السيدة زينب مع الحسين وبقية اهل البيت الى كربلاء ، حيث استشهد الحسين رضى الله عنه ..

تحرك موكب الأسرى والسبايا من اهل البيت النبوى الكريم . وما كاد الركب يمر على ميدان المعركة ، حتى صاحت النساء . ولطعن خدودهن ، وصاحت زينب :

- يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعرء مرمل بالدماء مقطوع الأعضاء ، يا محمداه هذه بناتك سبايا وذريتك مقتلة تسقى عليها الصبا .

فابتكت كل عدو وصديق .

ودخل الموكب الحزين الكوفة .

وتجتمع أهل الكوفة يبكون ، فقالت لهم زينب ، مبكنة مؤدبة . مقومة مهذبة :

— ي أهل الكوفة ؟

أتبكون ؟! فلا سكنت العبرة ، ولا هدأت الرنة !

انما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ، الا سوء ما تزرعون !

أى والله ، فابكوا كثيرا ، واضحكوا قليلا ، فقد ذهبتم بعارها ونسارها ، فلن نرحضوها — لن تغسلوها — أبدا .

وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوة ، ومعدن الرسالـة . ومدار حجتكم ، ومنار محجتكم ، وهو سيد شبات أهل الجنة !

لقد أتيتم بها خرقاء شوهاء !

أتعجبون لو أمطرت دما ؟

الا سوء ما سولت لكم أنفسكم ، ان سخط الله عليكم وفي العذاب انتم خالدون

أندرون أى كيد فريتم ، وأى دم سفكتم ، وأى كريمة أبرزتم : لقد جئتم شيئا اذا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا «

ضج الناس بالبكاء والعيول وفزعوا من هول ما سمعوا : وسقط فى ايديهم ، وبلغ بهم الأسف مبلغه ، ووجفت القلوب ، واقتشعرت الأجساد من هول تلك المحنة الدهماء .

وعندما ادخل أهل البيت النبوى الكريم الى حيث عبيد الله بن زياد والى الكوفة ، تذكرت السيدة زينب رضى الله عنها تلك القاعة التى كان يجلس فيها — من قبل — أبوها الامام على بن أبى طالب ، دخلتها هذه المرة وقلبها متصدع مما مر بها من أحداث جسام ، ولكنها لا ذت بكل كبريائها وعزة نفسها وكرامة محتدها ، معتزة بعلو حسيبها ونسبها الشريف ، ملتفة بجلال النبوة ، وجلست منتحية ناحية من القاعة تحف بها اماؤها .

فتساءل ابن زياد عن هذه المنحازة وحدها ومعها نساؤها .

فقال بعض امائها :

— هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت  
الامام على كرم الله وجهه .

فقال متشفيا فيها :

— الحمد لله الذى فضحككم وقتلكم واكذب احدثتكم .

فردت عليه السيدة زينب بكل ابناء وشم :

— الحمد لله الذى اكرمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم وطهرنا من الرجس  
تطهيرا : انما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا .

فلم يصبر ابن زياد على قولها ، بل رد عليها قائلا :

— كيف رأيت صنع الله فى اهل بيتك وأخيك ؟

هنا تتجلى اسمى معانى الايمان العميق والصبر الجميل والشجاعة  
النادرة فى قولها له :

— ما رأيت الا خيرا . هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتال فيبرزوا الى  
مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحتاج وتخاصمهم ، فانظر لمن الفلح  
يومئذ . تكلتك امك يابن مرجانة !

فأثار هذا الرد الحازم حفيظة ابن زياد ، فقال لها وهو فى أشد  
حالات الغيظ :

— لقد شفى الله قلبى من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من اهل  
بيتك .

فقالت له :

— لعمري لقد قتلت كهلى وقطعت فرعى واجتثت اُصلى فان كان فى  
هذا شفاؤك فلقد اشتغيت .

انار هذا النقاش بينها وبين ابن زياد حماسا وغيرة على بن الحسين  
رضى الله عنهما على عمته ، فانبرى صائحا يا بن زياد !

— الى كم تهتك عمى بين من يعرفها ومن لا يعرفها ؟

فالتفت اليه وقال : من انت ؟

فرد عليه فى ثبات :

— انا على بن الحسين .

فقال ابن زياد :

— اليس الله قتل على بن الحسين ؟

قال على :

— كان لى اخ يسمى عليا قتله الناس باسمهاهم .

فقال ابن زيادة :

— بل قتله الله .

قال على فى ايمان عميق :

— « الله يتوفى الانفس حين موتها وانى لم تمت فى منامها » .

فيسأله ابن زياد فى دهشة وعجب :

— او بك جراءة على جوابى وفيك بقية للرد ؟ ثم صاح بغلमानه ان مذهبوا به فيضربوا عنقه .

فتعلقت به عمتة السيدة زينب وقالت :

يا بن زيادة حسبك من دمهائنا ما ارتويت وسفكت . وهل ايقظت احدا غير هذا ؟ والله لا افارقه فان قتلته فاقتلنى معه .

وقال على ا

— اسكتى يا عمة حتى اكلمه ، والتفت اليه قائلا :

— ابالقتل تهددنى ، اما علمت ان القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة ؟

فنظر ابن زياد اليها فترة ثم قال :

— عجبا للرحم ، والله انى لافظنها ودت لو انى قتلتها معه ، دعوة فانى ازاه لما به مشغولا .

ولما اصبح ابن زياد امر براس الحسين رضى الله عنه فطيف به على رمح فى الكوفة ، ثم انقلوه مع رعوس اصحابه الى يزيد بن معاوية ، وامر بنسائه وصبيانهم ، فجهزوا وحملوا على الاقتاب وسرح بهم الى دمشق ، وعلى بن الحسين مقيد مغلول اليدين .

فلما مثلوا بين يدى يزيد واماه الراس الشريف ، تطاولت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين رضى الله عنهم ينظران الى الراس والدموع هائلة . والافئدة

واجمة ، والقلوب مضطربة ، واحسن يزيد بذلك ، فاصطرب وجعل يتناول بدوره ليستر الرأس الشريف عنهما .

وكان في مجلس يزيد رجل شامي ضخم الجثة احمر الوجه ، ظل يحدق في فاطمة بنت علي - وكانت شابة وضيئة - ويلتهمها بنظرات جشعة ، فأجفلت منه خائفة مسمتزة ، وقام الرجل الى يزيد فقال :  
- هب لي هذه .

خافت فاطمة : وأخذت بثياب اختها زينب ، فقالت السيدة زينب ا  
- كذبت والله ولؤمت ! ما ذلك لك وله .

فعضب يزيد ، وقال :

- كذبت والله ، ان ذلك لي ، ولو شئت ان افعله لفعلت .  
قالت زينب :

- كلا والله ، ما جعل الله ذلك لك الا ان تخرج من ملتنا ، وتدين بغير ديننا .

فاستطار يزيد غضبا وقال :

- ابني تستقبلين بهذا ؟ انما خرج من الدين أبوك وأخوك .  
فقالت زينب :

- بدين الله ودين أبي ودين أخى وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك .  
قال يزيد :

- كذبت يا عدوة الله !!؟

قالت زينب ا

- انت امر مسلط ، تشتم ظالما ، وتقهر بسلطانك .

فاستحي يزيد وسكت عنها .

وعاد الشامي يقول :

- يا أمير المؤمنين ، هب لي هذه الجارية .

فقال يزيد ا

- أغرب ، وهب الله لب حتفا قاضيا !

كشف يزيد عن رءوس الشهداء وانثنى يعبث بقضيب في يده ، بشنايا الحسين رضو الله عنه ، ويقول شامتا متشفيا .



يا غراب البين اسمعت ، فقل  
انما تذكر شيئاً قد فعل  
ليت أشياخي ببدر شهدوا  
جزع «الخرج» من وقع الأسل  
لا هلوا واستهلوا فرحاً  
ثم قالوا يا «يزيد» لا تتل

فأنبرت له السيدة زينب في ثقة وإيمان ، وثبات جنان ، وجعلت تردعه  
وتزجره ، وتطلم غروره بهذه اللطامات ، قالت :

( الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين - صدق  
الله سبحانه حيث يقول : ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى ان كذبوا  
بآيات الله وكانوا بها يستهزئون (١) » •

ظننت يا يزيد حين اخذت علينا اقطار الأرض وآفاق السماء • فأصبحنا  
نساق كما تساق الأسارى ، ان بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة ، وان ذلك  
لعظيم خطرك عنده ، فشمتك بأنفك ونظرت في عطفك تضرب اصديرك (٢)  
فرحاً ، وتنفض مذورك (٣) مرحاً جذلان مسروراً ، حين رايت الدنيا لك  
مستوسقة ، والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً  
انسيت قول الله تعالى :

« ولا يحسبن الذين كفروا انما نهى لهم خير لانفسهم انما نهى لهم  
ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين (٤) » •

أمن العدل بآبن الطلقاء (٥) تخديرك حرائرك واماءك وسوقك بنات  
رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحددو بهن  
الأعداء من بلد الى بلد ، يستشرفهن أهل المناهل والمنافل ، ويتصفح  
وجوههن القريب والبعيد ، الدنى والشریف ، ليس معهن من رجالهن ولى ،  
ولا من حماتهن حمى ، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد الأذكىاء  
ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف يستبطن فى بفضنا أهل البيت من نظر

(١) سورة الروم : ١٠

(٢) متكبيك •

(٣) المدوران : جانباً اليتين ولا واحد لها ، أى ماغيا يتهدد •

(٤) سورة آل عمران : ١٧٨ •

(٥) الطلقاء : هم آباء الذين أطلقهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة •

فقال ، اذهبوا فانتم الطلقاء •

الينا بالشنف والشنآن ، والاحن والأضفان ، ثم نقول غير منائم ولا مستعظم ١

لا هلوا واستهلوا فرحا نم قالوا يا يزيد لا تشل منحنيا على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب اهل الجنة تنكتها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأ القرحه ، واستأصلت الشاقة ، باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وسلم ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ، وتهتف بأشياخك زعمت انك تناديهم ، فلتردن وشيكا موردهم ولتودن انك شلت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت ، اللهم خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حمائنا ، فوالله يا يزيد ما فريت الا جلدك ولا حززت الا لحمك ، ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تحملت من دماء ذريته وانتهكت من حرمة عترته واحمنه ، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم .

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم

يرزقون » .

وحسبك بالله حاكما وبمحمد صلى الله عليه وسلم خصيما وبجبريل ظهيرا ، وسيعلم من سول لك وامكنك من رقاب المسلمين - بشس للظالمين بدلا - أيكم شر مكانا واضعف جندا ، ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك ، انى لأستصغر قدرك ، واستعظم تقريعتك واستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والصدور حرى ، الا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء ، بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الايدى تنطف من دماءنا ، والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكى تنتابها العواسل ( الذئاب ) ، وتعقرها امهات الفراعل ( الضباع ) ، ولئن اتخذتنا مفنما لتجدنا وشيكا مفرما ، حين لا تجد الا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد ، والى الله المشتكى وعليل المعول ، فكذلك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحيانا ، ولا تدرك امدنا ، ولا تدحض عنك عارها ، وهل رايت لها فند ( كذب ) ، وإيامك الا عدد ، وجمعك الا بدد ، يوم ينادى المنادى الا لعنة الله على الظالمين ، فالحمد لله رب العالمين الذى ختم لاولنا بانسعادة والمغفرة ، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، نسال الله ان يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة انه رحيم ودود وحسينا الله ونعم الوكيل » .

لم يستطع يزيد مع ما هو عليه من سلطان وملك وهيبة بخشاها اكثر الناس ، ان يقاطع كلام السيدة زينب ، او ان يمنعها من الاستمرار فيه .

مع انه من لاذع القول ، رغم وجودها في ذلة الأسر دامية القلب دامعه العين  
مما مر بها من احداث جسام .

واراد يزيد بن معاوية ان يخرج من هذا المأزق الذي وقع فيه والحرع  
الشديد الذي اصابه من افتضاح حقيقة امره ، فلم يستطع ان ينطق بغير  
هذه الكلمة :

يا صبيحة تحمد من صوائح ما اهون النوح على النوانح  
واراد يزيد ان يكفر ولو بعض الشيء عن سوء صنيعه وشنيع فعلته ،  
فعرض على السيدة زينب الاموال الكثيرة التي نهبت منها وكذلك غيرها  
لتأخذها عوضا عن الحسين رضى الله عنه وانصاره . فقالت :  
— يا يزيد ما أفسى قلبك ، تقتل أخى وتعطينى المال ، والله لا كان  
ذلك أبدا .

وامر يزيد ، النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم في رحلتهم الى  
المدينة المنورة وان يصحبهم في ركبهم اليها ، فخرج ومعه بعض رجائه ومنهم  
بشر بن حذلم ، فاحسنوا الصحبة طول الطريق الى المدينة ، وكان بشر محبا  
للله ولرسوله ولآل البيت النبوى الكريم ، على خوف من بنى أمية وكان  
لسان حاله يقول :

احب الحسين ولكنما  
لسانى عليه وقلبي معه  
حبست لسانى عن مدحه  
ضرار أمية ان تقطعه  
اذا الفتنة اضطربت في البلاد  
ورمت النجاة فكن امعه

ولما بلغوا مشارف المدينة المنورة قالت فاطمة بنت علي لاختها زينب :  
— يا اخية ، لقد احسن هذا الرجل إلينا في صحبتنا فهل لك في أن  
نصله ؟

— والله ما معنا شيء نصله الا حلينا .

واخرجتا سوارين لهما ودملجين ، فبعثتا به الى الرجل ، معتذرتين  
اليه عن ضالة الهدية . ولكن الرجل رد اليهما الحلي قائلا :

— لو كان الذى صنعت انما هو للدنيا كان في حليكن ما يرضينى ودونه ،  
ولكن والله ما فعلته الا الله ، ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

\*\*\*

تولى على المدينة ذهول عميق ، وروعة عظيمة ، عندما سمعت بشر بن  
حذلم يرفع صوته بالبكاء وينشد قائلا :

ياهل يثرب لا مقام لكم بها  
قتل الحسين فادمعى ممداراً  
الحسم منه بكرلاء مضرج  
والراس منه على القناة يدار

تم نادى : هذا على بن الحسين مع عماته واخوانه قد حلوا بساحتكم  
ونزلوا بفنائكم ، وانا رسوله اليكم اعرفكم مكانه ،

فخرج الجميع رجالا ونساء ولم ير اكثر من ذلك اليوم باكيا او باكية  
وهم يستقبلون ذلك الركب الكريم وينادى قائلا :

اترجو امة قتلت حسيننا

شفاعة جده يوم الحساب  
واندفعت زينب بنت عقيل بن ابي طالب . ومعها نساؤها وهى حاسرة  
تلوى بثوبها وتصرخ :

ماذا تقولون ان قال النبی لكم

ماذا فعلتم ، وانتم آخر الامم

بعترتى وباهلى بعد مفتقدى

منهم اسارى ، ومنهم ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم

ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى  
ولما سمع والى المدينة عمرو بن سعد (١) اصواتهن وصعد المنبر فأعلم  
الناس بمقتل الحسين رضى الله عنه .

ولما بلغ عبد الله بن جعفر قتل ابنيه ، استرجع ، فدخل عليه بعض  
مواليه والناس يعزونه فقال :

— هذا ما لقينا من الحسين .

فحذفه ابن جعفر بنعله وقال :

— يا بن اللخناء ، للحسين تقول هذا ؟ والله لو شهدته لاحببت ان  
لا افارقه حتى اقتل معه . والله انه لما يهون على المصاب بهما انهما اصيبا

(١) قتل الملك بن مروان عمرو بن سعد بعد ذلك قتلة فظيمة .

مع اخي وابن عمي ، مواسيين له ، صابرين معه . وان لم تكن آست الحسين  
يدي ، فقد آسأه ولداي .

\* \* \*

كان وجود السيدة زينب في المدينة المنورة كافيا ، لأن تلهب المشاعر  
وتؤلب الناس على الطفافة ، فقد راحت تخطب الجماعات مظهرة عدوان  
يزيد بن معاوية وبقي عبد الله بن زياد وطغيان اعوانهما على اهل البيت  
النبوي الكريم ، فاثارت الثائرة وهيجت الالباب ، ولفتت انظار الاحرار الى  
الدم المسفوك ، والثار المضيع ، حتى كاد الامر يفسد على بني أمية . فكتب  
عمرو بن سعد والي المدينة ليستنجد بيزيد ويقول له :

« ان وجودها بين اهل المدينة مهيج للخواطر ، وانها فصيحة عاقلة  
لبيبة ، وقد عزمت هي دمن معها على القيام للاخذ بثأر الحسين » .

فأمره يزيد أن يفرق البقية الباقية من اهل البيت النبوي الكريم في  
الأقطار والأمصار ، وطلب الوالي الى السيدة زينب ان تخرج من المدينة  
فتقيم حيث تشاء . وقد عز ذلك وعظم عليها ان ترحل من ارض الآباء  
والأجداد ، مهبط الوحي ، وحيث توجد الأعظم العطرات لآلها ، وقالت :

— قد علم الله ما صار اليه امرنا ، قتل خيرنا ، وسبق الباقون كما  
تساق الانعام ، وحملنا على الاقتاب . فوالله لاخرجنا وان اريقتم دماؤنا .  
واجتمع عليها نساء بني هاشم وتلفظن معها في الكلام . وواسينها وجبن  
لها الخروج .

وقالت لها زينب بنت عقيل بن أبي طالب :

— يا بنت عماء ، قد صدقنا الله وعده وارثنا الأرض ننبا منها حيث  
نشاء فطيمى نفسا وقرى عينا ، وسيجزى الله الظالمين ، ارحلى الى اى بلد  
آمن .

وقد اختارت السيدة زينب رضى الله عنها ، مصر دارا لاقامتها لما  
سمعتة عن اهلها وحبهم لاهل البيت النبوي الكريم .

وما كاد خبر رحيل السيدة زينب يبلغ والي مصر اذ ذاك مسلمة بن  
مخلد الانصارى ، حتى توجه ومعه جماعة من اصحابه ورهط كبير من اعيان  
مصر وعلمائها ووجهائها وتجارها ليكونوا في شرف استقبالها . فاستقبلوها  
عند قرية على طريق مصر والشام شرقى بلبيس عرفت فيما بعد بقصرية  
العباسة نسبة للعباسة ابنة احمد بن طولون .

وقد تقدم مسلمة من السيدة زينب وعزاها في خشوع وخضوع ، وبكى فبككت وبكى الحاضرون ، ثم قالت :

.. « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .

وقد وافق دخول السيدة زينب مصر ، بزوغ هلال شعبان سنة احدى وستين هجرية الموافق ٢٦ ابريل سنة ٦٨١ ميلادية ، وكان قد مضى على استشهاد الحسين رضى الله عنه ستة اشهر وايام .

وقد انزلها الوالى هى ومن معها فى داره بالحمراء القصوى ترويحاً لها ، اذ كانت تشكو ضعفاً من اثر ما مر بها . فنزلت بتلك الدار معززةً مكربةً ، وبقيت فيها موضع اجلال المصريين وتقديرهم ، حيث كانوا يفتدون الى منزلها الكريم ملتجئين بركتها ودعواتها ، مستمعين الى ما ترويه من الاحاديث النبوية الشريفة والادب الدينى الرفيع .

وبقيت السيدة زينب بتلك الدار اقل من عام بقليل ، فلم تر خلال مدة اقامتها الا عابدةً متبتلةً متهجدة صوامة قوامة تالية لآى القرآن المجيد وانتقلت رضوان الله عليها الى الرفيق الاعلى عشية يوم الأحد لاربعة عشرة مضي من رجب عام ٦٢ هـ ، فمهدت لها الأرض الطاهرة مرقداً لنا فى مخدمها فى دار مسلمة حيث اقامت وحيث اختارت ان تكون ضجعتها الاخرة

## أم كلثوم

كانت السيدة فاطمة الزهراء تعتز اعتزازا كبيرا باسم زينب ، فقد شاء الله أن تلد رضى الله عنها قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم انثى اخرى سميتها زينب ، وكنّاها جدها عليه السلام أم كلثوم .

ولما شبت أم كلثوم عن الطوق ، ونما عودها ، سارع امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى خطبتها ، فلما طلبها رضى الله عنه من ابيها على بن ابي طالب كرم الله وجهه ، قال له :

— انها صغيرة .

فقال لها عمر :

— انكحنيها يا على فوالله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من حسن صحابتها ما ارصد .

فقال له عمر :

— انا ابعثها اليك فان رضيت فقد زوجتكها .

فبعثها اليه ببرد ، وقال لها :

— انطلقى بهذا الى امير المؤمنين ، فقلولى ارسلنى ابى بقرئك السلام ويقول ان رضيت البرد فامسكه وان سخطته فردّه .  
فلما اتت عمر قال :

— بارك الله فيك وفى ابيك قد رضينا .

ورجعت أم كلثوم الى ابيها وقالت :

— ما نشر البرد ولا نظر الا الى .

فقال على :

— يا بنيتى انه زوجك .

وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مجلس المهاجرين بالروضة ، وكان يجلس فيه المهاجرون الاوون ، فجلس اليهم ، وقال لهم !  
— رفّسونى !

فقالوا :

— بماذا يا امير المؤمنين ؟

قال :

— تزوجت ام كلثوم بنت على بن ابي طالب . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« كل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة الا نسبى وصهرى » .  
وكنت فد صحبتته فأحببت ان يكون هذا ايضا .

سمع المهاجرون هذا من عمر ، فرفثوه . واصدق امير المؤمنين ام كلثوم اربعين الف درهم وفوض على العباس في تزويج ام كلثوم من عمر رضى الله عنه .

ورزقت ام كلثوم بولد وبنت من عمر بن الخطاب . اما الولد فسمى « زيدا » واما البنت فسميت « رقية » .

اما زيد وكان يسمى « ذو الهلالين » فقتل في حرب كانت في بنى عدي ليلا ، وكان قد خرج لاصلاح ذات البين بينهم . فضربه خالد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب في الظلام ولم يعرفه ، فصرع وعاش اياما ومات هو وامه في وقت واحد . ولم يعقب ، فلم يدر ايهما مات قبل الآخر ، فلما وضع للصلاة ، قدم زيدا قبل امه مما يلى الامام ، وصلى عليهما عبد الله بن عمر ابن الخطاب وسعيد بن العاص امير الناس .

اما رقية بنت عمر ، فقد تزوجت ابراهيم بن نعيم النحام ، فولدت له جارية . وماتت الجارية وماتت امها ايضا ، فانقرض ولد ام كلثوم من عمر .

وتوفيت ام كلثوم رضى الله عنها بغوطة دمشق ، عقب محنة أخيها الحسين رضى الله عنه ، ودفنت في هذه القرية ، ثم تسمت القرية المذكورة باسمها ، وهى الآن المعروفة بقرية الست .



## صورة وصفية

وصفت السيدة عائشة رضى الله عنها الزهراء البتول فقالت : « ما رايت احدا من خلق الله اشبه حديثا وكلاما برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة . وكانت اذا دخلت عليه اخذ بيدها فقبلها ورحب بها واجلسها في مجلسه ، وكان اذا دخل عليها ، قامت اليه ورحبت به . واخذت بيده فقبلتها » .

وقد تشبعت بالأدب النبوى الكريم ، فكانت تتحرى تقوى الله ، وتتخرج فيما اعتقدته من اوامر الدين ، حتى ظنت ان اكل الطعام المطبوع بوجوب الوضوء . فقد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل عرقا ، فجاء بلال بالأذان ، فقام ليصلى ، فأخذت بثوبه فقالت :

— يا ابة ! الا تتوضأ ؟

فقال :

— مم أتوضأ يا بنية ؟

قالت :

— مما مست النار .

قال النبى :

— او ليس اطيب طعامكم ما مست النار ؟

فهى فيما تجهله تتخرج ولا تترخص وتؤثر الشدة مع نفسها على الهواة معها .

وقد ذكر غير واحد من الصحابة ، وذكرت السيدة عائشة ، انها كانت لشبه برسول الله في مشيتها وحديثها وكلامها ، وزادت عائشة رضى الله عنها فقالت :

— ما رايت افضل من فاطمة غير ابيها .

كانت الزهراء شديدة الاعتزاز بانتسابها الى ابيها ، وكانت مفلورة على يقين التدين . كان من اعتزازها بالانتساب الى ابيها انها كانت تسر بمشابهة ابنائها لابيها ، وكانت تذكر ذلك حين تدللهم وتلاعبهم . فلم يكن احب اليها من ان يقال لها ان اسباط رسول الله يشبهون رسول الله .

وكانت فطرة التدبين فيها وراثه من ابوين ، كان حسبها ما ورثته من الرسول الأعظم وما تعلمته منه بالتربية والمجاورة ، ولكنها اضافت اليه ما ورثته من أمها السيدة خديجة بنت خويلد الذي تصدى لعاهل اليمن غيرة منه على الكعبة ، وابنة عم ورقة بن نوفل الذي شغل بالدين في الجاهلية حتى فرغ له حياته

نشأت في بيت رسول كريم ، ورباها نبي عظيم ، بل ولم يزل يتعهدا بتذكيرها بحق الله ، حتى بعد زواجها ، فقد روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى صلاة الفجر ، يمر ببيت فاطمة الزهراء وينادي :

- السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته . الصلاة يرحمكم الله .  
« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

وقد خصت الزهراء البتول من ابوها صلى الله عليه وسلم بأحاديث تدل على ان الرسول الأعظم كان يختصها بمحبته ويؤثرها بمودته ، وان لها موقعا في نفسه ، ومكانا من قلبه .

عن مجاهد رضى الله عنه ، قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد فاطمة ، فقال : « من عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها ، فهي فاطمة بنت محمد ، وهي بضعة مني ، وهي قلبي ، وروحي التي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى » .

وعن ابي ايوب الانصاري رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادى مناد من بطنان العرش ان الجليل جل جلاله يقول : نكسوا رءوسكم وغضوا أبصاركم . فان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تريد ان تمر على الصراط » .

وعن ابي ايوب الانصاري رضى الله عنه قال :

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ملكا من السماء لم يكن زارني : فاستأذن ربي في زيارتي فبشرني واخبرني ان فاطمة سسيمة نساء امتي .

عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة ، وأخذ بعضادتي الباب ، وقال : « السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة . وموضع الرسالة ومنزل الملائكة ، يا بنينة ان الله سبحانه وتعالى اطلع على أهل الارض اطلاعيه فاختر اباك فجعله نبيا ، ثم

اطلع الثانية فاحنار منهم زوجك عليا فجعله لى اخا ووصيا . ثم اطلع المالمه فاختارك رامك فجعلكما سيدتى النساء ، ثم اطلع الرابعة فاخضار ابيك فجعلهما سيدى شباب اهل الجنة . فقال العرش . اى ربى . ابنى نبيك . وابنى وصى نبيك زينى بهما فهما يوم القيامة فى ضفتى العرش بمنزله الشقيين من الوجه .

\* \* \*

السيدة فاطمة الزهراء قوية الشخصية ، ثابتة الفؤاد ، عاقلة لبيبة جزلة ، ورنث عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الفصاحة فى القول والقدرة على التعبير والبيان . وخير من وصفه بذلك عائشة رضى الله عنها حيث قالت : « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسر دكم هدا ، ولكن كان ينكلم بكلام بين فصل ، يحفظه من جلس اليه » . وهو صاحب كلام سليم فى منطق سليم ورزق من فصاحة الموضوع كفاء ما رزق من فصاحة اللسان وفصاحة الكلام .

قال الامام ابو الفضل احمد بن طاهر فى كتاب « بلاغات النساء » : « لما اجمع ابو بكر رضى الله عنه على منع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - نكاحه ، وبلغ ذلك فاطمة لاثت خمارها على راسها واقبلت فى لمة من حفدتها تطأ ذبولها ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا حتى دخلت على ابي بكر وهو فى حشد من المهاجرين والانصار فنيطت دونها ملاة ثم انت انة اجهت القوم لها بالبكاء وارتج المجلس فأمهلت حتى سكن نشيج القوم وهذات فورتهم فافتتحت الكلام بحمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد القوم فى بكائهم فلما امسكوا عادته فى كلامها فقالت :

« لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » ، فان تعزوه تجدوه ابنى دون نسايتكم ، واخا ابن عمى دون رجالكم فبلغ الندارة صادعا بالرسالة ، مائلا على مדרجة المشركين ، ضاربا لشجنهم (١) آخذنا بكظمهم ، يهشم الأصنام وينكث الهام ، حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتفرى الليل عن صبحه واسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين وخرست شناسق الشياطين ، وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطىء الاقدام تشربون الطرق (٢) . وتقتاتون القد اذلة خاشعين تخافون ان يتخطفكم الناس من

(١) الشجن يكون الجيم وتحريكها الطريق الومر .

(٢) الطرق : الماء الذى بالث الابل فيه .

حولكم فانتذركم الله برسوله صلى الله عليه وسلم بعد التتيا والتى وبعد ما  
منى بيهم الرجال وذؤبان العرب ومردة اهل الكتاب . ( كلما اوقدوا نارا  
للحرب اطفأها الله ) . . ونجم قرن للضلال وفقرت فافرة من المشركين قذف  
بأخيه في مهواته؛ فلا ينكفى حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهيبها بسيفه  
مكدودا في ذات الله قريبا من رسول الله ، سيدا في اولياء الله ، وانتم في  
بلهنية وادعون آمنون . حتى اذا اختار الله لنبيه في دار انبيائه طهرت خلّة  
النفاف، وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونىغ خامل الافاكين وهدر  
فنيق (١) . المبطلين فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان راسه من مغرزه ،  
صارخا بكم ، فوجدكم لدعائه مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين فاستنهضكم  
فوجدكم خفافا واحمشكم فالقاكم غضابا ، فوسمتم غير ابلكم ، وأوردتموها  
غير شربكم ، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل .

ومضت تقول : « وانتم الآن تزعمون ان لا ارث لنا ، ( افحكم الجاهلية  
يبنون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ) . ايها المسلمة المهاجرة  
البتز ارث ابي ؟ افى الكتاب ان ترث اباك ولا ارث ابي ؟ لقد جئت شيئا  
فريا ، فدونكما مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله والزعيم  
محمد والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولكل نبأ مستقر  
وسوف تعلمون .

ثم انحرفت الى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وهى تقول :

قد كان بعدك أنباء وهنبئة

لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

اذا فقدناك فقد الارض وابها

واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

هذه رواية لخطاب فاطمة الزهراء ، وفي الكتاب نفسه رواية اخري  
مخالفة في لفظها ومعناها للرواية السابقة ، وقبل ايراد الروايتين قال  
ابو الفضل ١

« ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب  
صلوات الله عليهم كلام فاطمة عليها السلام وقلت له ان هؤلاء - يشير الى  
قوم في زمانه يفضون من قدر اهل البيت - يزعمون انه مصنوع وانه من  
كلام ابي العيناء .

(١) الجمل القوي .

فقال لى : رايت مُشايع آل أبى طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه ابنائهم وقد حدثنيہ أبى عن جدى يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحثية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل ان يولد جد أبى العيلاء . وقد حدث به الحسن بن علوان عن عطية العوفى انه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه . ثم قال أبو الحسن : وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو اعجب من تلم فاطمة بتحقيقونه لولا عداوتهم لنا اهل البيت ؟ .

لقد نشأت رضى الله عنها وهى تسمع كلام أبيها ابلى البلاء . وانتقلت الى بيت زوجها فعاشت سنين تسمع الكلام من امام متفق على بلاغته بين محبيه وشائيه ، وسمعت القرآن يرتل فى الصلوات وفى سائر الاوقات ، وتحدث الناس فى زمانها بمشابهتها لأبيها فى مشيتها وحديثها وكلامها ، ومنهم من لا يحايتها ولا ينطق فى أمرها عن الهوى .

كانت الزهراء قانعة زاهدة ، فقد التزمت بالحكمة القائلة ان الزاهد من يجب ما يجب خالقه . ويبغض ما يبغض خالقه ، ويتخرج من حلال الدنيا ولا يلتفت الى حرامها .

أسند يحيى عن محمد بن قيس قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر اتى فاطمة فدخل عليها واطال عندها المكث ، فخرج مرة فى سفر وصنعت فاطمة مسكتين من ورق ( بكسر الراء ) وقلادة وقرطين وسترت باب البيت لقدوم أبيها وزوجها ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها ووقف اصحابه على الباب لا يدرون ايقعون ام ينصرفون اطول مكثه عندها ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عرف الغضب فى وجهه حتى جلس على المنبر ، ففطنت فاطمة انه فعل ذلك لما رأى من المسكتين والقلادة والستر ، فنزعت قرطيهها وقلادتها ومسكتيهما ونزعت الستر وبعثت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت للرسول ا قل له تقرا عليك ابنتك السلام وتقول لك : اجعل هذا فى سبيل الله . فلما آتاه قال : قد فعلت ، فداها أبوها - ثلاث مرات - ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » .

كانت فاطمة البتول ذات ارادة صلبة ، وعزيمة قوية ، وقد بدا ذلك فى حاجتها لزوجها ، وم حاجتها لأبى يكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وفيما كان يتوخاه على من مرضاتها بصدد المباينة قبل وفاتها . وقد يكون من

ولائل الإرادة في المرأة خاصة أنها تلزم الصمت ولا تكثر الكلام ، وقد كان من عادة الزهراء أنها لا تتكلم حتى تسأل ، وأنها لا تعجل إلى الحديث فيما تعلم فضلاً عما تعلم . ولهذا انحصرت أحاديثها عن أبيها فيما كانت تسمعه منه بين البيت والمسجد ، ولم تزد عليه .

قد ماتت الزهراء في ربيع العمر . في الثلاثين أو قبل الثلاثين ، فإذا ظهر منها هذا الجد وهذا اليقين وهذه العزة وهذه الإرادة وهي في تلك السن الباكورة فذاك ولا ريب دليل على قوة كامنة يرجع إليها حين يفسر المفسرون خلائق بنيتها وما عساهم قد استمدوه من هذا الميراث المكين (١) .

---

(١) مباس محمود العقاد: فاطمة الزهراء ، ص ٧٣ .

## في الحياة العامة

عاشت الزهراء تنعم بحب الرسول الأعظم ، وكانت دارها بجوار دار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال السهمودي في « أخبار دار المصطفى » . . « أن بيت فاطمة رضي الله عنها في الزور الذي في القبر ، بينه وبين بيت النبي صلى الله عليه وسلم خوخة ، وكانت فيه كوة الى بيت عائشة رضي الله عنها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام اطلع من الكوة الى فاطمة ، فعلم ببرهم ، وان فاطمة رضي الله عنها قالت لعلى : ان ابني امسيا عليين . فار نظرت لنا ادماء نستصبح به . فخرج على الى السوق فاشتري لهم ادماء وجاء به الى فاطمة . فاستصيحبت فأبصرت عائشة المصباح عندهم في جوف الليل - وذكر كلاما وقع بينهما - فلما أصبحوا سألت فاطمة النبي صلى الله عليه وسلم ان يسد الكوة فسدها » .

كانت دار الزهراء بجوار دار الرسول ، حتى يستمتع برؤية أحفاده بعد ان حرم من الأبناء الذكور . . وفجأة .

شكا ابو الزهراء ، صلى الله عليه وسلم من مرض ألم به في ليل بقين من صفر في السنة الحادية عشرة للهجرة ، فحسب أهل البيت والمسلمون انها وعكة طارئة لا تليث ان تزول ، دون ان يجروا أحد على الظن بأنه مريض الموت !

غير ان الزهراء لم تكذب تسمع بشكوى أبيها ، حتى خافت ، واجفأت وكأنها لسهتها نار ! ذلك انها ذكرت حديثا أسر به صلى الله عليه وسلم اليها منذ ايام . وكانت قد جاءت لزيارته وهو عند السيدة عائشة رضي الله عنها .

جاءت الزهراء تمشي لا تخطيء مشيتها مشية أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ان رأت أباها عليه السلام حتى سألته متلهفة عليه :

— ما بك يا رسول الله ؟

— مرحبا بابنتي .

— أبت مالك ؟!

فقبلها نبي الرحمة ، ثم جلسها الى يمينه ، وأسر لها حديثا فبكت ، ثم أسر لها حديثا آخر فضحكت ، وتمجبت عائشة من البكاء فالضحك ،

فقالت :

— ما رايت كالיום فرحا اقرب الى حزن .

وقامت الزهراء ، فهرعت اليها السيدة عائشة تسألها !

— اخبريني ما سارك ؟ .

ولكن فاطمة أبت أن تكشف وقتئذ عما أسره لها رسول الله فقالت لعائشة :

— ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره .

ولكن بعد وفاة الرسول ، ذكرت يوما ما أسره اليها رسول الله ، فقالت انه قال لها :

— ان جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرة ، وانه عارضني العام مرتين ، وما اراه الا قد حضر اجلى .

فبكت الزهراء . فأسر اليها .

— وانك أول أهل بيتي لحوقا بي ، ونعم السلف انالك .

وضحكت الزهراء ، فرحا بأنها ستكون أول أهل بيت رسول الله لحوقا به ، ثم عادت فبكت على أبيها .

واحضرت الزهراء ابنيها الحسن والحسين الى الرسول عليه السلام فقالت له :

— يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئا .

فقال الرسول :

أما الحسن فان له هيبتي وسوددى ، وأما الحسين فان به جراتي وجسودي .

واشتدت وطأة المرض على الرسول ، وأقامت الزهراء الى جانبه تخدمه وتسهر عليه حانية متجلدة ، تتكلف الصبر ، ولا تكف عن الدعاء .

لكن تجلدها خانها حين رأته وقد اشتد به الوجع ، يأخذ الماء بيده ويجعله على راسه وهو يقول :

— واكرهه !

فتبكي الزهراء وتقول بصوت يفيض حزنا ولوعة :



— واكرى لكرىك با ابتاه !  
فرد عليها وهو يرنو اليها فى عطف .  
— لا كرى على أبىك بعد اليوم !  
وحم القضاء ، ولحق الرسول بالرفيق الأعلى ، وبرك الزهراء من يوم  
يتيمة حزينة .

وبكت ورثته قائلة :

أبتاه ، يا أبتاه .. أبتاه  
أجاب ، ربا دعاه .. يا أبتاه  
الى جبريل ننعاه .. يا أبتاه  
جنة الفردوس .. مأواه .. يا أبتاه  
من ربه ما أدناه .. يا أبتاه

وتجهز نعش رسول الله ، ونقل الى قبره الشريف ، وجاء أنس بن  
مالك يسألها الصبر الجميل ، فقالت له :

— يا أنس ! كيف طبابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله التراب .  
واسرعت الى قبر الرسول ، وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها  
على عينيها ، وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على شمس تربة أحمد  
أن لا يشم مدى الزمان غواليا  
صبت على مصائب لو أنها  
صبت على الأيام صرن لياليا

وبكت ، فبكى الناس لبكائها ، وتقطعت قلوبهم وهم يرونها تفلت التراب  
من بين أناملها فى حركة يائسة ، ثم تحديق فى يديها الفارغتين ، وتمضى ،  
كمن فرغت من الدنيا .

وظلت الزهراء حزينة على أبيها ، ما ضحكت بعد وفاته مرة واحدة  
حتى لحقت به .

كان أول ما شغل الناس بعد وفاة الرسول ، من الذى يخلف الرسول  
عليه السلام ؟

اجتمع المهاجرون والانصار في سقيفة بنى ساعدة يتشاورون . . وكادت -  
الفتنة ان تنشب اظافرها في المسلمين . . فالخزرج بزعامة شيخها سعد بن  
عبادة تطلب الامارة ، ثم نصح لهم عويم بن ساعدة باختيار ابي بكر للخلافة  
فاعرضوا عنه ونبذوه . ثم خطر لدى راي منهم ان يقسمها شطرين : امير  
من الانصار وامير من المهاجرين ، وما برح سعد بن عبادة على جلالة شأنه  
في قومه نافرا من البيعة لابي بكر بعد انعقادها وهو يأبى الا ان يستبد  
الانصار بهذا الرأى دون الناس فانه لهم دون الناس « . ثم أصر على ابائه  
حين انفض جمع السقيفة وجاءه الرسل يدعونه للمبايعة فعاوده الغضب  
وقال لهم : « أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل وأخضب سنان  
رمحي » وناشدوه الا يشق عصا الجماعة فعاد يقول : « انى ضاربكم  
بسيفى ما ملكته يدي ، مقاتلكم بولدى وأهل بيتى ومن أطاعنى من قومى . .  
وأيم الله لو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى أعرض على  
ربى » .

وكان هناك خطر آخر ، هو خطر الفتنة التى راح ابو سفيان يوقد  
نارها بين على والعباس وبين بنى هاشم وسائر بطون قريش ، يعد قوما  
بنصرة بنى أمية ونصرة قريش من ورائها ، ويوسوس لقوم آخرين بمثل  
هذا الوعد ، وما كان يستهدف انصاف بنى هاشم ولا أن يؤيد الانصار ،  
وانما اراد الوقعة التى يخذلهم بها جميعا ويخرج منها بالسيادة الاولى  
التي كانت له على قريش في الجاهلية .

كان على بن ابي طالب في تلك الساعة العصيبة الى جوار الجثمان الطاهر  
المسجى في حجرته ، فدخل عليه ابو سفيان وقال :

- يا أبا الحسن ، هذا محمد قد مضى الى ربه ، وهذا ترائه لم يخرج  
عنكم ، فأبسط يدك أبايعك !

وقال عمه العباس :

- يا بن اخي ، هذا شيخ قريش قد اقبل ، فامدد يدك أبايعك ويبايعك  
معى . فانا ان بايعناك لم يختلف عليك أحد من بنى عبد مناف ، واذا بايعك  
عبد مناف لم يختلف عليك قرشى ، واذا بايعتك قريش لم يختلف عليك  
بعدها أحد من العرب .

أجاب على :

- لا والله يا عم ، انى لأكره أن أبايع من وراء رتاج .

وما لبث أن دخل أبو ذر الغفاري وبعض أنصار علي ، ونقلوا اليه ما كان من أمر بيعة السقيفة . وقالوا له انه أولى بأمر الخلافة من أبي بكر وأخذوا يعجمون عيدان الراي ، فانتهوا الى ان يعيدوا النظر في أمر بيعة السقيفة .

وقال أبو سفيان :

— أما والله اني لأرى عجاجة لا يطفئها الدم . يا لعبد مناف فيم أبو بكر من أمركم ؟ ابن المستضعفان ( علي والعباس ) ؟

واتجه أبو سفيان الى علي قائلا :

— أبسط يدك أبايعك . فوالله لو شئت لاملانها على أبي فضيل ( أبي بكر ) خبلا ورحلا . ولكن عليا رأي ان في مقال أبي سفيان نذير تأليب وفتنة ، فقال له :

— طالما غنشت الاسلام وأهله ، فما ضررتهم شيئا ، لا حاجة لنا الى خيلك ورجلك . انك تريد امرا لنا من اصحابه .

وانجه أبو سفيان الى العباس ، وقال له :

— انك والله لاحق بميراث ابن أخيك .

فرده العباس كما رده علي .

واخذ عمر بن الخطاب الزبير بن العوام علي بن أبي طالب الى أبي بكر الصديق ، وهناك ثار الحديث من جديد حول بيعة السقيفة . فأبو بكر لم يختره الأنصار الا لانه من المهاجرين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا وكان اكبر المهاجرين سنا . وهو الذي اختاره الرسول ليؤم الناس في الصلاة ، ولكن عليا اصر على انه أحق بالأمر ، واحتج بنفس المنطق وقال :

— أنا احق بهذا الأمر منكم ، لا أبايعكم وانتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحتججتم عليه بالقرابة من رسول الله ، فاعطوكم القادة وسلموا اليكم الامارة ، وأنا احتج عليكم بمثل ما احتججتم به علي الأنصار .

وعاد علي . . ونحدث الى بعض الأنصار والمهاجرين ، ولكنهم رفضوا أن ينقضوا بيعة تمت ، ولم يتبعه الا القليل .

وعاد على الى داره ، وهو يسبح في بحار من الفكر .. وبينما هو كذلك انطلق صوت المؤذن :

الله اكبر الله اكبر .. الله اكبر .. أشهد ان لا اله الا الله .. أشهد ان لا اله الا الله .. أشهد ان محمدا رسول الله .. أشهد ان محمدا رسول الله .

واتجه على رضى الله عنه الى الزهراء وقال لها :  
- اتحبين ان يزول هذا النداء من الوجود ؟  
- لا .

- اذن سأباعد ابا بكر ..

وتمت البيعة لأبي بكر ، والتاريخ يسجل أروع صفحات الإيمان العميق والاخلاص المجرد .

بايع على بن أبى طالب رضى الله عنه ابا بكر الصديق ، وكاد الخلاف ينتهى بنطواء الحديث عن الخلافة ، لولا خلاف آخر كان بين السيدة فاطمة الزهراء من ناحية ، وبين أبى بكر من ناحية أخرى حول فداء .

وفدك قرية بينها وبين المدينة يومان أو ثلاث ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم فيثما بين آل بيته وفقراء المسلمين ، فلما قضى رسول الله ، وبويع أبو بكر ، أجمع على منع الزهراء فداء . فأرسلت فاطمة الى أبى بكر تسأله ميراثها فيها وفيما بقى من خمس خيبر ، فقال أبو بكر :  
- ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : ائنا معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة . واني والله الا أغير شيئا من صدقة رسول الله عن حالها التي كان عليها .

وقد احتجت الزهراء عليه بقوله تعالى عن نبي من أنبيائه - زكريا عليه السلام - « يرثني ويرث من آل يعقوب » وقوله تعالى : « وورث سليمان داود » .

فقال أبو بكر :

- يا بنت رسول الله . انت عين الحجة ومنطق الرسالة لا يدلى بجوابك ولا اوقعتك عن صوابك . ولكن هذا أبو الحسن بينى وبينك هو الذى أخبرنى بما تفقدت ، وأنبأنى بما أخذت وترك .

وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ان ابا بكر قال : يا بنى رسول الله ، والله ما ورث أبوك ديناراً ولا درهما وأنه قال : ان الأنبياء لا يورثون .

فقلت : ان فداك وهبها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فمن يشهد ذلك ؟

فجاء على بن أبى طالب فشهد وجاءت أم أيمن فشهدت أيضا ، فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسمها .

فقال ابو بكر : صدقت يا بنى رسول الله ، وصدق على ، وصدقت أم أيمن ، وصدق عمر ، وصدق عبد الرحمن بن عوف ، وذلك ان مالك لأبيك، كان رسول الله يأخذ من فداك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه فى سبيل الله ، فما تصنعين بها ؟

قلت : أصنع بها كما يصنع أبى !

قال : فلك على الله أن أصنع كما يصنع فيها أبوك

قلت : الله لتفعلن .

قال : الله لأفعلن .

قالت : اللهم أشهد .

وكان أبو بكر يأخذ غلتها فيدفع اليهم منها ما يكفيهم ويقسم الباقي ، وكان عمر كذلك ، ثم كان عثمان كذلك ، ثم كان على كذلك .

وفى خلال الخلاف على هذه القضية قال عمر لأبى بكر :

— انطلق بنا الى فاطمة فانا قد أغضبناها . فانطلقا فاستأذنا عليها فلم تأذن لهما ، فأتيا عليها فكلماه ، فأدخلهما . فلما قعدا عندها حولت وجهها الى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام . فتكلم أبو بكر فقال :

— يا حبيبة رسول الله ، والله ان قرابة رسول الله أحب الى من قرابتي، وانك لأحب الى من عائشة ابنتى ، ولوددت يوم مات أبوك انى مت ولا أبقى بعده ، أفترانى أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وامنعك حقك وميراثك فى رسول الله ؟ الا انى سمعت اباك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث . ما تركنا فهو صدقة .

نقالت : أرايتكما ان حدثتكما حديثا عن رسول الله تعرفانه  
ونفعلان به ؟

قالا : نعم .

فقلت : نسيديكما الله الم تسمعا رسول الله يقول : رضاء فاطمة من  
رضائي وسخطها من سخطي ؟

قالا : نعم ، سمعناه من رسول الله .

قالت : فاني اشهد الله وملائكته انكما أسخطتماني وما أرضيتماني ،  
ولئن لقيت النبي لأشكونكما اليه .

فقال أبو بكر : انا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة .

ثم انتحب يبكي حتى كادت نفسه تزهق .. ثم خرج فاجتمع اليه  
الناس فقال لهم :

— يبيت كل رجل منكم معانقا حليته مسرورا بأهله وتركتموني وما أنا  
فيه ؟ لا حاجة لي في بيعتكم ، أقياوني بيعتي .

ورفض المسلمون ان يقولوا أبا بكر من البيعة خشية الفتنة .

والذي بهمنا من قضية فذك ، أنها تدل بما لا يدع مجالا للشك على أن  
الزهراء رضى الله عنها كانت حينما تؤمن بحق . تتمسك به ، ولا تفرط  
فيه .. وهذا خلق لا ينوافر الا فيمن كانت لها الشخصية القوية ،  
والارادة النلبة ، والعزيمة المتينة ، والايمان العميق .

## وفاتها

حزنت الزهراء حزنا شديدا على فراق الرسول . حتى روى انها لم تبسم بعد وفاته ، وزادها الحزن نحولا على نحول ، وضعفا على ضعف ، فخذلت جوارحها ومشى اليها الموت وهى ما تزال فى ميعة الصبا ، وريع العمر .

وشعرت رضى الله عنها ، بقرب نهاية الاجل ، وانتقالها الى الرفيق الاعلى . فنادت بنيتها فعانقتهم وقبلتهم وملأت عينها منهم ، ثم دعت اليها اسماء بنت عميس فقالت لها :

— يا امه ، اسكبى لى غسلا .

واغتسلت الزهراء كاحسن ما كانت تفتسل ، ثم قالت لها :

— يا امه اثينى بشيابى الجدد .

وجاءتها اسماء بشيابها الجدد ، فلبستها ، ثم قالت لها :

— قد اغتسلت فلا يكشفن لى احد كتفا ، أتستطيعين أن توارينى بشيء؟  
فاجابتها :

— ائى رابت الحبشة يعملون السرير للمرأة ، ويشدون العشى بقوائم السرير فعمل لها نعشها قبل وفاتها ، ونظرت اليه وقالت :

— سترتمونى ستركم الله .

وتبسمت رضى الله عنها ، ولم تر مبتسمة بعد وفاة أبيها الا ساعتها . واغمضت عينها ، ونامت ، وانتقلت من الدار الفانية الى الدار الباقية .

وكانت وفاتها — على أرجح الأقوال — ليلة الثلاثاء ثلثلاث خلون من رمضان من العام الحادى عشر للهجرة ( ٢٢ نوفمبر ٦٣٢ ميلادية ) ودفنت بالبقيع ليلا حسب وصايتها اذ أنه صلى الله عليه وسلم كان قد دفن ليلا أيضا ، وصلى عليها على بن أبى طالب والفضل بن العباس .

وحزن المسلمون على وفاتها . يقول ابن عباس :  
« ولما علمت المدينة بوفاة السيدة فاطمة الزهراء ، ارتجت بالرجال والنساء ودهش الناس كيوم قبض رسول الله صلى الله وسلم » .

أما على رضى الله عنه فقد حزن عليها حزنا لازمه منذ وفاتها ، بعد دفنها الى البيت ، فاستوحشه ، وجزع لفقدائها ، ثم أخذ يقول

أرى علل الدنيا على كثيرة  
وصاحبها حتى الممات عليل  
لكل اجتماع من خيلين فرقة  
وكل الذى دون انفراق خليل  
وان افتقادی فاطمة بعد أحد  
دليل على ان لا يدوم خليل

\* \* \*

وقد طويت آخر صفحة من تاريخ حياة فاطمة الزهراء وله شخصيتها مقدسة عند المسلمين ، فهي فضلا عن انها بضعة الرسول وحبيبته وريحانته ، فهي أيضا الصورة المثالية للام الفاضلة ، والسبيل الكاملة .



السيدة نفيسة

رضي الله عنها



## مولدها ونشأتها

الشريفة الطاهرة ، البضعة الناضرة ، والزهرة الراهية ، سايه البود ،  
وفرع الرسالة ، كريمة العنصر والمنبت ، زكية الفرس والجنة ، نهيسة ،  
بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب  
رضي الله عنهم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« خلقى الناس من أشجار شتى ، وخلقنا أنا وعلي بن أبي طالب من  
شجرة واحدة . فما قولكم في شجرة أنا أصلها ، وفاطمة فرعها ، وعلي  
لقاحها ، والحسن والحسين ثمارها ، وشيعتنا أوراقها . فمن تعلق بنفس  
من أغصانها ساقه إلى الجنة ، ومن تركها هوى إلى النار » .

أبوها الحسن الأنور ، شيخ بنى هاشم في زمانه ، واليه انتهت الرئاسة  
على بنى الحسن في زمنه ، كان أماما ، وعالما جليلا ، من كبار أهل البيت ،  
ومن سرورات العلويين وأشرفهم وأجوادهم وأولى المدينة من قبل الخليفة  
العباسي ، أبي جعفر المنصور خمس سنوات . ثم حبسه في بغداد خوفا  
منه لدسياسة القيت في أذنه كانت كاذبة خاطئة وما زال في حبسه حتى مات  
المنصور فأخرج ابنه وخليفته المهدي وأكرمه وأعادته إلى منصبه ورد له  
أكان قد صادر أبوه من أمواله وممتلكاته .

ولما ولي الحسن المدينة للمرة الثانية كان بها رجل فقير يقال له  
« ابن أبي ذئب » فقربه الحسن وأحسن إليه ، وما زال يرعاه حتى صلحت  
حاله ، وكثر ماله ، ثم قربه الحسن إلى المنصور ، فلما أصبحت له حظوة  
عند الخليفة شرع يتكلم في حق الحسن ، وينم عليه ويدس له ، حتى قال  
للمنصور عنه : أنه يطمع للخلافة ! فاستقدمه المنصور وحبسه .

ولما عاد الحسن إلى منصبه في ولاية المدينة معززا مكرما منعما عليه  
بالجزيل من الأموال ، ظن ذلك الرجل « ابن أبي ذئب » أن الحسن منتقم  
منه ، لكن الحسن كان أسى خلقا ، فقد أخذه بالعفو والاحسان ، فلم  
يخاطبه فيما قدمت يداه ، ولا عاتبه ، بل أرسل إليه بهدية عظيمة ، فكان  
آية في مكارمه وعلو شمائله .

ومن كريم خلقه ، انه أتى بشباب مخمور ، أثناء ولايته للمدينة ، فقال له الشاب :

— يا ابن رسول الله لا اعود . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقبوا ذوى الهيئات عثراتهم . وأنا ابن أبى أسامة بن سهل بن حنيف . وقد كان أبى مع أبىك كما علمت .

فقال :

— صدقت ، هل انت عائد !

قال :

— لا والله .

فأقاله وأمر له بخمسين ديناراً ، وقال له تزوج بها . فتأبى الشاب وحسنت سيرته ، فوالاه الحسن بالاحسان .

وقد قصده الشعراء والمادحون بقصائدهم لكرمه وغزير علمه ، فما خيب لأحد منهم فيه أملاً .

وكان جم التواضع . دخل عليه أحد الشعراء وأنشده : « الله فرد وابن زيد فرد » فغضب وقال . هلا قلت : « الله فرد وابن زيد عبد ؟ » ونزل عن سريره والصق خده بالأرض .

فعل هذا أسوة بالرسول الأعظم . كان اذا عظمه أحد أصحابه أو وفّوده مرغ خده فى التراب .

وكان رضى الله عنه تقياً صالحاً مجاب الدعوة ، ختم حياته بأحسن خاتمة ، حيث مات وهو فى طريقه الى الحج . ولما كان موته قريباً من مكة فقد نقل اليها ودفن بها .

أمها ، فأم ولد ، وليس ذلك بضائرها ، ولا ما ينقص من قدرها ، فقديماً تسرى أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر فولدت له اسماعيل عليه السلام ، فكان من نسله رسول الهدى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أبوها الحسن من أم ولد ، وكذلك زيد بن على رضى الله عنهما ، من أم ولد . وقد دخل على هشام بن عبد الملك ، فقال له :

— بلغنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها لأنك ابن أمة .

فقال له : اما قولك انى احدث نفسى بالخلافة ، فلا يعلم الغيب الا الله ،  
واما قولك انى ابن امة ، فاسماعيل ابن امة اخرج الله من صلبه ، حبر  
البشر محمدا صلى الله عليه وسلم ، واسحق ابن حرة ، اخرج من صلبه  
القردة والخنزير .

فقال له : قم . فقال : اذا لا ترانى الا حيث تكره . فلما خرج من  
الدار قال : ما احب احد الحياة الا ذل . فقال سالم مولى هاشم : بالله  
لا يسمعن هذا الكلام منك احد .

وكان يريد رضى الله عنه ، من احسن بنى هاشم عبادة . قال ابو حنيفة :  
— شاهدت زيد بن على كما شاهدت اهلته فما رايت فى زمانه افقه منه  
ولا اعلم ، ولا اسرع جوابا ولا ابين قولا ، لقد كان منقطع القرين ، وكان  
يدعى بخليف القرآن .

افلا شية فى أن تكون السيدة الشريفة نفيسة رضى الله عنها من ام ولد ،  
فان لها من آياتها الكرامة والجلالة ، وهى فرع شجرة الرسالة ، وعضو  
من اعضاء الرسول ، وبضعة من الامام والبتول ، وهى السيدة العفيفة ،  
الطاهرة العابدة .

استهل نورها ، وظهر ضياؤها ، بولادتها بمكة المكرمة فى يوم الأربعاء  
الحادى عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس واربعين ومائة من الهجرة .  
وما ان بدت اشراقها حتى فرحت بها امها ، واستبشر بها ابوها ، فقد  
عقد اليمن بناصيتها ، وامتزج الخير بأنفاسها ، فانطلقت السنة الاسرة  
بحمد الله على هذه النعمة الجليلة التى انعم بها عليهم ورزقهم اياها .

نشأت رضى الله عنها ، نبأة نبوية ، فانها بعد ان درجت بمكة ، تحوطها  
العزة والكرامة ، استصحبها ابوها ، وقد اوفت الخامسة من عمرها ، الى  
المدينة المنورة ، وعاشت معه بداره ، وهو الإطم الذى كان قد ابتاعه .  
فهدمه ، وبناه قصرا ، سمي بالحمراء .

وقد اخذ ابوها يلقيها ما تحتاج اليه من امور دينها ، ودنياها . وكانت  
تذهب الى المسجد النبوى تسمع من شيوخه ، وتتلقن الحديث والفقه من  
علمائه ، وقد سمعت من الامام مالك بن انس موطاه .

حكى الحافظ ابو عبد الله بن برعش فى كتابه « تحفصة الأشراف » ان  
الامام زيد الأبلج رضى الله عنه جد السيدة نفيسة كان يأخذ بيد ولده الحسن

الانور والد السيدة نفيسة ويدخل الى قبر جده المصطفى عليه الصلاة والسلام ويقول :

— يا سيدى يا رسول الله ، هذا ولدى الحسن انا عنه راض .

ثم يرجع وينصرف ، فلم كان فى بعض الليالى ، نام زيد فراى الرسول صلى الله عليه وسلم . وهو يقول له :

— يا زيد . انى راض عن ولدك الحسن برضاك عنه . والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضاى عنه .

فلما ولى الحسن المدينة ، كان يذهب الى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتأخذ بيد ابنته نفيسة ، وهما بداخل المقام الشريف ويقول :

— يا سيدى يا رسول الله . انى راض عن ابنتى نفيسة . ويرجع فما زال يفعل هذا حتى راي الرسول صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول له :

— يا حسن انا راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها . والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضاى عنها .

## زواجها

بلغت السيدة نفيسة الخامسة عشرة من عمرها ، فرغب فيها شباب آل البيت النبوي من بنى الحسن ، وبنى الحسين رضى الله عنهم ، كما تهافت على خطبتها الكثير من شباب اشراف قريش لما عرفوه من خيرها وبرها ودينها وصلاحتها وما نشأت عليه من عبادة ربها ، واقبالها على طلب العلم . فكان ابوها يابى عليهم ، اجابة طلبهم ، ويردهم ردا جميلا . ثم جاء السيد اسحق المؤتمن بن جعفر الصادق ، يخطبها من ابوها ، فصمت ولم يرد عليه جوابا .

فقام اسحق من عنده ودخل الحجرة النبوية الشريفة وقال بعد السلام :

— يا رسول الله انى خطبت نفيسة بنت الحسن من ابوها ، فلم يرد على جوابا واننى لم اخطبها الا لخيرها ودينها وعبادتها . ثم خرج من الحجرة الشريفة .

فراى والدها النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى المنام فقال له :

— « يا حسن زوج نفيسة لاسحق المؤتمن » .

فعمد له عليها فى يوم الجمعة الخامس من شهر رجب سنة ١٦١ هـ .

واسحق هو بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين رضى الله عنهم .

وكان اسحق من اهل الفضل والاجتهاد والورع والصلاح ، روى عنه الحديث ، وكان ابن كاسب بن يعقوب اذا حدث عنه يقول : « حدثنى الثقة الرضى اسحق بن جعفر » . وقد اخذ اسحق كثيرا من ابنه جعفر الصادق الذى كان اماما نبىلا ، وعالما جليلا ، اخذ الحديث عن ابيه وحده وعين واليا على المدينة من قبل العباسيين بعد ذلك بزمان .

وكان جعفر ، ابو اسحق ، ثقة لا يسأل عن مثله ، روى عنه الكثير من افاضل الرواة قال ابن ابى حازم : كنت عند جعفر الصادق يوما واذا بسفيان الثورى على الباب فقال : ائذن له . فدخل ، وقال له جعفر :

— يا سفيان . انك رجل يطلبك السلطان فى بعض الاحيان ، وتحضر عنده ، وانا اتقى السلطان . فأخرج عنى غير مطرود .

فقال له سفيان : حدثني حديثا اسمعه منك واقوم .

فقال : اليك هذا الحديث .

« حدثني ابي عن جدي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من انعم الله عليه نعمة فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن حزبه أمر فليقل لا حول ولا قوة الا بالله .

ثم قال خلدها يا سفيان . ثلاثا واى ثلاث ، فانصرف سفيان بما نال . وكان جعفر رجلا شجاعا مهيب الجانب . راجح العقل ، متقدا للذهن . كثير المناقب والكرامات . وكان مجاب الدعوة اذا سأل الله شيئا لا يكاد يتم قوله الا وهو بين يديه .

ذاك هو اسحق المؤمن اخذ عن ابيه جعفر الصادق كثيرا من علومه وآدابه واخلاقه حتى اصبح له شأنه ومقامه .

كان لهذا الزواج السعيد الموفق اثره في مجرى حياة هذه السيدة الشريفة ، فقد كان متجاوبا مع ما نشأت عليه من حب لله ، وانصراف الى طاعة الجليل جل جلاله .

وبزواج اسحق المؤمن من السيدة نفيسة اجتمع في بيتها نوران : نور الحسن ونور الحسين رضى الله عنهما .

وقد ولدت منه السيدة نفيسة ابا القاسم وام كلثوم ولم يعقبا .

مكث اسحق المؤمن بعد وفاة السيدة نفيسة رضى الله عنها زمنا ليس بالكثير ، ثم توفى ودفن بالمدينة المنورة .



## في رحاب خليل الرحمن

قالت زينب بنت يحيى المتوج : « ان عمتي نفيسة كانت تقرا القرآن ونبكي وتقول :

« الهى وسيدى يسرلى زيارة خليلك ابراهيم عليه السلام » .

كانت تتطلع الى زيارة هذا النبی العظيم ، والرسول الكريم . الذى كان مثلاً رائعاً في قوة العقيدة وجلال التضحية ، وروعة الايمان .

شاء الله اختبار يقينه وايمانه ذلك الاختبار الدقيق ، فأمره بدبح ولده اسماعيل ، فصدع بأمر ربه ، ونجح فيما امتحن فيه نجاحاً باحراً .

ولما مات أسكن الله روحه السماء السابعة ، كما جاء في قصة الاسراء والمعراج على حين أسكن غيره من الأنبياء والمرسلين السابقين سموات ادنى .

وامر الله تعالى ابراهيم واسماعيل ببناء الكعبة فيبنيانها ، ويأمره ان يؤذن في الناس بالحج فيفعل ويدوى صوته في الآفاق ولا يزال يدوى . .

وهو ابو الأنبياء انه ابو ايها محمد بن عبد الله رسول الله ، وان له بشارة به قال الرسول صلى الله عليه وسلم : انا دعوة ابراهيم عليه السلام حيث يقول : « ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » .  
وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام :

« انا دعوة ابراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا امي آمنة » .

ورحلت الى الشام لزيارة ابراهيم عليه الصلاة والسلام . قالت السيدة نفيسة رضى الله عنها :

« ما ان بلغت المقام الكبير والضريح العظيم حتى اجهشت بالبكاء . بكاء السرور لتحقيق امنيتي في زيارة الخليل ثم جلست في خشوع أقرأ من آيات الله ما ورد في خليل الرحمن .

لما كانت قراءتي في تدبر وتفكر وخشوع وخضوع ، احسست حينئذ احساساً يقرب من المادية ، ان الخليل أمامي ، وحينئذ خفق قلبي . وخشع بصرى وقلت :

« يا جدى الاكبر . جئت اليك بجسدى وروحى ، وقد جاءت روحى من  
قبلى . فهل احظى برضاك ، وصالح دعاك ، وتوجيهاتك الشريفة لى ، حتى  
اتعبد لآخر لحظة فى حياتى .

وحينئذ سمعت صوتا مجلجلا يقول :

— يا ابنتى يا نفيسة ابشرى فانك من الصالحات القانتات . وانك باذن  
الله موفقة . الا اننى اوصيك بأن تقرئى سورة المزمل وتتدبرى معناها .  
وسنعملين طرق العبادة التى لا مشقة فيها لان الله لا يكلف نفسا الا وسعها .  
وانت يا ابنتى تتعبدين الى درجة الارهاق ، الذى يضنى جسداك . ومع ذلك  
تتحاملين على نفسك وتفرقين فى العبادة .

يا ابنتى : اقرئى قول الله تعالى لرسوله الكريم « ان ربك يعلم انك تقوم  
ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك . . الى آخر سورة  
المزمل (١) » . وقد جعل الله العبادة فى الليل اختيارية بعد ان كانت اجبارية  
لان الله يعلم ان من عباده من يجاهد فى سبيل الله ويسعى لنيل رزقه ولا بد  
له من الراحة ليقوم بعمله هذا . والجهد عبادة والسعى فى سبيل الرزق  
عبادة . وادارة شئون المنزل للسيدات عبادة .

اذكرى ذلك وارحمى نفسك . واعطيهما قسطا من الراحة . لتقوى على  
العبادة من غير ارهاق مؤلم . واعلمى انك موفقة . وانك مباركة وانك فى  
الصف الاول بين الصالحين والصالحات . وكونى فى جميع خطواتك القدوة  
الصالحة لغيرك ليقنتدى بك من اراد الله له الخير والسعادة .

وحينئذ قلت : يا جدى العظيم ، فقال : أستغفر الله .

قلت : يا جدى الاكبر . سأنفذ هذه التوجيهات . وارجو من روحك  
الطاهرة ان تهب روحي صفاء حتى ابلغ ما اتمناه لنفسي من القربى الى الله .  
حتى القاه وهو عنى راض . وهذه هى امنيته التى لا امنية بعدها .

فقال : يا ابنتى ابشرى فان الله قد استجاب دعواتك . ولن انسالك  
حتى نلتقى فى عالم الروح . فى عالم الخالدين ثم بين يدي الله رب العالمين ،  
يوم تجزى كل نفس ما عملت ، والعاقبة للمتقين (٢) .

(١) تقول السيدة نفيسة رضى الله عنها ان جميع الانبياء والمرسلين قد وهبهم الله حفظ  
كتابهم البين بقدرة وبإلغة التى نزل بها وهى العربية . وهذا اختصاص للانبياء فى برزخهم .

(٢) محمد شاهين حمزة : السيدة نفيسة ، ص ٥٥ - ٦٢ .

## صورة وصفية

كانت السيدة نفيسة رضى الله عنها ، من السائحات ، العابدات ، نشأت في النسك ، والاخلاص لربها ، تصوم النهار ، وتقوم الليل ، باعت نفسها لله ، ووقفت حياتها ولذاذاتها على نهوضها بطاعة الله .

قالت زينب بنت يحيى المتوج : خدمت عمى نفيسة اربعين سنة ، فما رايتها نامت الليل ، ولا افطرت بالنهار ، فقلت لها :

— اما ترفقين بنفسك يا عمى ؟

فاجابتنى :

— كيف ارفق ، وان امامى لعقبات لا يقتحمها الا الفائزون الصابرون المصابرون ؟

وكانت هي بالمدينة المنورة لا تفارق حرم جدها المصطفى عليه الصلاة والسلام قارئة ، ذاكرة باكية ، راکعة ساجدة ، ضارعة داعية . وقد حجت الى بيت الله الحرام ، ثلاثين حجة ، اكثرها مشيا على الاقدام ، تحببا في طاعة الله ، وتقربا اليه حتى تظفر منه بالجزاء الاوفى .

وكانت — عليها رضوان الله — تجزئها الوجبة : الاكلة الواحدة في اليوم واللييلة ، بل ربما اجزأتها زمنا اطول من يومها وليلتها .

قالت زينب بنت يحيى المتوج : كانت عمى نفيسة تأكل في كل ثلاثة ايام اكلة واحدة ، وكانت لها سلة معلقة ، امام مصلاها ، فكانت كلما اشتهد شيئا وجدته في السلة وكنت احد عندها ما لا يخطر بخاطري ، ولا اعلم من اين ياتى فعجبت من ذلك ، فقالت :

يا زينب من استقام مع الله تعالى ، كان الكون بيده وفي استطاعته .

كانت رضى الله عنها ، كريمة الخلق ، شريفة الطبع ، فراء المكرمات ، فقد صاغها الله من معدن كريم ، وانبتها نباتا حسنا ، فجمعت خلال الفتوة والمزودة ، فكانت معطاءة فياحة ، فياضة نفاحة جملة الميزات كثيرة الصلوات ، وهي مع هذا زاهدة متقشفة ، قد مالأت عن زخارف الحياة .

وهب لها احد الامراء ، مائة الف درهم وقال : خذى هذا المال شكرا لله تعالى . لتوتى . فأخذته . وصرت صررا بين يديها وقرت الصرر عن آخرها وكان عندها بعض النساء ، فقالت لها : يا سيدتى . لو تركت لنا شيئا من هذه الدراهم لنشتري به شيئا فنفطر عليه !

فقالت لها : خذى غزلا غزلته بيدى فبيعيه بما تشتري به طعاما نفطر عليه .

فذهبت المرأة وباعت الغزل وجاءت بما افطرت به هى واياها . ولم تأخذ من المال شيئا فهى الجوادة الكريمة ، وهى من قوم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . نشأت زاهدة فى الدنيا . لم تمل بها زخارف الحياة الدنيا . وما كانت تلتفت وابوها امير المدينة له قصوره ، وحدائقه وماله الى شئ من اولئك . بل مالت بطبعها منذ صغرها الى حياة العبد عن بهرج الحياة وزينتها مقبلة على اخرها ، فالدنيا الى نفاذ . وما عند الله باق .  
عن ابي هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« يا ابا هريرة : الا اريك الدنيا جميعها ، قلت : نعم فأخذ بيدى الى مزبلة فيها زؤوس اناس وعذرات وخرق وعظام . ثم قال عليه السلام : يا ابا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتأمل آمالكم . ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم ستصير رمادا . وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتجافونها . وهذه الخرق البالية كانت رياشهم وثيابهم . فأصبحت الرياح تصفقها . وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باتيا على الدنيا فليبك » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا اراد الله بعبده خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة » .

كانت السيدة نفيسة زاهدة ، وكان امامها فى طريق الزهد هو الرسول الأعظم الذى احاطت بسيرته ، وكان مرشدها هو ما قاله الرسول وما فعل . كان الهدى النبوى هو نبراسها الذى تستضيء به .

كان هجرها للدنيا واقعا على كل ما يعوقها عن الله وطاعته ومرضاته ، ويعوقها عن العمل لآخرتها والتزود لها .

كانت الآخرة وكان الموت نصب عينيها ، حسبنا دليلا على ذلك خفسرها قبرها بيديها وقضاؤها فيه شطرا من وقتها كل يوم تستلهم منه العظات :

وتستوحى الصالحات . ثم هى بعد ذلك زوجة ، وام ، ترعى الله فى زوجها ، وفى ولديها .

وهى محبة للعلم والمعرفة ، تأخذ منهما بحفظها وتعطى منهما ما تشاء ، ولمن يشاء .

كانت السيدة نفيسة رضى الله عنها تستهدف انهاض الانسان ، وازدهار الحياة .

كانت رضى الله عنها حريصة الحرص كله الا تاكل الامع زوجها ، برا به وحفاظا على رضاه مؤمنة بأن رضا الزوج من رضا الله ، ومسيراً ما كانت تردد دعاء مأثوراً عنها ، هو قولها : « الهى وسيدى ومولاى ، متعنى واسعدنى برضاك عنى ، ولا تسبب لى سبباً يحجبك عنى » .

وأكثر ما تقول هذا الدعاء ، وهى متعلقة بأستار الكعبة . طوافه حول البيت العتيق ، تقوله وهى تنشج باكياً، هكذا كان دعاؤها الصادر من صميم فؤادها ، الشاكر لآلئ ربها ، الهادف الى دوام رضا المولى عليها المستعبد برحمته ان تمتحن بالحجاب عنه ، لأن محنة الحجاب ، هى اشد الوان العذاب على الاحباب .

كانت صبورة فى عبادتها ، قوية النفس فى نسكها ، وصيامها وقيامها ، فانها لما احتضرت وهى صائمة ، الحوا عليها بأن تفطر ، فقالت :

— واعجباه انى منذ ثلاثين سنة ، وانا أسأل الله عز وجل ان القاه ، وانا صائمة أفأفطر الآن ، هذا ما لا يكون . ثم اخذت فى قراءة سورة الانعام ، فلما وصلت الى قوله تعالى : « لهم دار السلام عند ربهم » لفظت نفسها ، وادركتها وفاتها .

كانت رضى الله عنها نبيلة النفس ، محمودة السمائل ، اريحية الطبع ، يتمثل كرم الخلق فى منطقها وافعالها ، وكان اخلاقها سبكت من الذهب المصفى ، وكانما سمائلها اتقى من الندى .

وللقب السيدة نفيسة بكريمة الدارين ، لعوارفها ، وصنائعها وشفاعتها يوم القيامة لقاصدبها ، ويجنح الرحمة لتواضعها . وخضوعها لله جل

بجلاله ، وشفقتها ورحمتها وبرها وصلتها لذويها وقاصديها ، ويستظل  
زائرها بجناح رحمتها .

رئيسة العلم لما استنبطته من دوائل العلم ، واستجلته من غوامضه  
وما نثرته على طالبى الاستفادة منها ، فكان يرجع اليها فى المشكلات ،  
ويستصيح بضوئها فى العضلات ، وتشهد اليها الرجال من كل مكان ، فى طلب  
ما حذقته واحكمته ، من علوم بيت النبوة . فرضى الله عنها ، فهى من تلك  
السلالة الزكية ، والاسرة المحمدية ، التى ورثت العلم والحكمة ، ذلك فضل  
الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

## رحلة السيدة نفيسة الى مصر

أحب الشعب المصرى السيدة نفيسة رضى الله عنها قبل قدومها اليه في عام ٩١٣ هـ حينما سمع بأنبائها وهى بالمدينة المنورة وتشوق اليها ، واما قدمت استقبلها استقبالا رائعا واقامت في دار كبير تجار مصر جمال الدين بن عبد الله بن الجصاص ، واقامت بها اشهرًا ، والناس يفدون اليها زراعات ووحدانا من جميع الآفاق ، يلتمسون بركتها ويرجون دعاءها ، ويرون في اشراقها اشراق بيت النبوة وعترته المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ثم انتقلت من هذه الدار الى دار أم هانئ ثم انتقلت الى دار ابو السرايا أيوب بن صابز ، فجاء الناس اليها ، واشتد الاقبال عليها والتراحم على بابها حتى عاقها ذلك عما فرضت على نفسها من أوراد وعبادات . فاعترمت أن تغادر مصر الى المدينة المنورة ، لتقضى بقية عمرها في هدايتها وعبادتها ، ومناجاة ربها ، وتلتزم حرم جدها المصطفى عليه الصلاة والسلام فاشتد ذلك على الشعب ، وشق عليه أن يفارقه ، وقد لمس نفحاتها ، وعرف تقواها . وما افاضه الله تعالى عليها من فيوضات ، وما يحيط بها من تجليات ومشاهدات . فالتمس منها العدول عن عزمها ، والبقاء في مصر . فابت ، ففزع الى والى مصر السرى بن الحكم يشطعه لديها لترضى . فبعث هذا رسولا وكتابا فأصرت . فجاء اليها بنفسه راجيا ملحا باسم الشعب . فقالت له :

— انى كنت قد اعتزمت المقام في مصر . غير انى امرأة ضعيفة . وقد تكاثر الناس حولى . واكثروا من زيارتى . فشغلونى عن اورادى . وجمع زادى لمعادى . الى ان منزلى هذا يضيق بهذا الجمع الكثيف . والعهد الكثير ، وقد زاد حنينى الى روضة جدى المصطفى صلى الله عليه وسلم .

فقال لها السرى :

— يا بنت رسول الله . انى كفيل بازالة ما تشكين منه . وعلى ان امهد لك السبيل . واهيى لك ما فيه راحتك ، ورضاك . اما ضيق المنزل ، فان لى دارا واسعة بدرب السباع وانى اشهد الله تعالى انى قد وهبتها لك ، واسألك أن تقبليها منى ، ولا تخجلينى بردها على .

قالت السيدة نفيسة :

— انى قد قبلتها منك . ثم قالت :

— ماذا اصنع بهذه الجموع الكثيرة والوفود الغفيرة ؟

اجاب السرى :

— تتفقين معهم على يومين فقط كل اسبوع ، فيهما يكون التلاقى ،

وليكونا السبت والأربعاء . وتتفرغين فى الايام الباقية لمولاك . فقبلت .

وشاع هذا القبول فشاع السرور والفرح فى الناس . وبقيت وطاب لها

المقام فى منى وسماها الشعب « نفيسة المصرية » حسدا لها . وتقديرا

لشخصها الكريم .



## وفاتها

أقامت السيدة نفيسة رضى الله عنها في دارها ، عابدة ، سائحة بتيمة نقيه ، حتى آذنت شمسها بالمغيب ، وتنقل من دار الفناء الى دار البقاء .

قالت زينب بنت يحيى المتوج : تأملت عمى في اول يوم من رجب ( سنة ٢٠٨ هـ ) وكتبت الى زوجها اسحق المؤمن كتابا ، وكان غائبا بالمدينة تطلب اليه فيه المجيء اليها وموافاتها . لاحساسها بدنو اجلها ، وفراقها لدنياها . واقبالها على اخرها . وما زالت متوقعة الى ان كان اول جمعة من شهر رمضان . فزاد عليها الالم وهى صائمة ، فدخل عليها حذق الاطباء فأشاروا عليها بالافطار لحفظ قوتها ولتتطلب على مرضها فرفضت ثم انشدت تقول :

اصرفوا عني طيبى	ودعوني وحيبى
زاد بي شوقي اليه	وغرامى في لهيب
طاب هتكى في هواه	بين واثى ورقيب
لا ابالى بفوات	حيث قد صار نصيبى
ليس من لام بعذل	منه قيه بمصيب
جسدى راض بسقمى	وجفونى بنحيبى

فانصرف الأطباء ، وهم معجبون بقوة يقينها ، وثبات دينها ، وسألوها الدعاء فقالت خيرا ودعت لهم .

وشاءت السيدة الكريمة ان تختم حياتها بالقرآن الكريم ، واستفتحت بسورة الانعام حتى اذا بلغت قوله تعالى : « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » غشى عليها .

تقول زينب بنت اخيها : فضممتها الى صدرى ، فتشهدت شهادة الحق ، وصعدت روحها الى بارئها فى السماء .

وبكى الناس ، وسمع النحيب فى كل دار .

ووصل زوجها اسحق المؤمن في اليوم نفسه ، ليجدها قد انتقلت الى رحاب الله وليقول لهم : انه يريد ان ينقلها الى المدينة المنورة لتدفن في البقيع .

وحزن الناس حزنا شديدا ، وهرمت جمعهم الى دار الأمير واستجاروا به يريدون ان يتدخل بنفوذه لدى اسحق ان يدفنها في مصر ، وان يرجع عن عزمه ونقلها الى المدينة وبخاصة انها حفرت قبرها بيدها في دارها . فسأله الأمير في ذلك وقال له :

— بالله لا تحرمنا مشاهدة قبرها . فانا كنا اذا نزل بنا امر جئنا اليها في دارها نسألها الدعاء ، فما تنتهي من دعائها الا وقد كشف الله عنا ما نزل بنا . فدعها لتكون في أرضنا ، فاذا نزل بنا امر جئنا الى قبرها ، فسألنا الله تعالى عنده .

فأصر اسحق على نقلها ولم يرض ما طلبه القوم وما عرضه الوالى . فجمعوا له مالا وفيرا أوسقوا به بعيره الذى قدم به من المدينة ، وسألوه ان يقبل هذا المال وبعده عما يريد ، فأبى المال واستنكره ، وأبى العدول عن عزمه ، فتركوا المال وانصرفوا .

فلما أصبح الصباح ذهبوا اليه ليجددوا له الرجاء ، فوجدوه على غير ما تركوه بالأمس . قال لهم انى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومي فقال لى : رد عليهم اموالهم وادفنها عندهم ولا تعارض اهل مصر فيها .

وكان يوم دفنها يوما مشهودا : ازدحم فيه الناس ازدحاما شديدا ، كلهم يريد ان يشترك في الصلاة عليها وتشيع جنازتها . واديت الصلاة في مشهد حافل جليل ، لم ير له مثيل ، ودفنت في قبرها الذى حفرتة بيدها .

## كرامات السيدة نفيسة في حياتها

الكرامة امر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد صالح من عباده اكراماً له ، دون ان يكون للعبد سلطان في هذا الامر . اى ان الله تعالى قد يعطى الكرامة على يديه دون قصد ولا ارادة منه .

وتكلم الناس في الفرق بين الكرامات والمعجزات .

يقول الامام أبو اسحق الاسفراينى :

المعجزات دلالات صدق الأنبياء ، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبى . كما أن العقل المحكم لما كان دليلاً للعالم في كونه عالماً لم يوجد فبمن لا يكون عالماً .

وقال القاضى ابو بكر الأشعرى :

ان المعجزات تختص بالأنبياء ، والكرامات تكون للاولياء كما تكون للأنبياء ولا تكون للاولياء معجزة ، لأن من شرط المعجزة افتران دعوة النبوة بها . والمعجزة لم تكن معجزة لغيرها . وانما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة ، فمتى اختلف شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة . واحد تلك الشرائط ، دعوى النبوة والولى لا يدعى النبوة . فالذى يظهر عليه لا يكون معجزة .

ويقول المناوى في مقدمة الطبقات :

« وهى جائزة بل واقعة حسبما نطق به النص القرآنى والحديث النبوى اما القرآن فلقصة اهل الكهف حيث اقاموا فيه ثلثمائة سنة وازيد نياما احياء بلا آفة ولا غداء وليسوا بأنبياء باجماع الفرق . وقصة مريم حيث حملت بلا ذكر ووجد الرزق عندها بلا سبب ، وتساقط عليها الرطب من شجرة يابسة بلا موجب .

وقصة واصف بن برخيا حيث احضر عرش بلقيس من مسافة بعيدة في طرفة عين .

واما السنة فحديث جريج الراهب الذى كلمه الطفل الرضخ كما في الصحيحين ، وحديث اصحاب الفار الذى انطبق عليهم الصخر ، وحديث البقرة التى ركبها صاحبها فالتفت اليه وكلمته . ومن حوادث الصحابة صيحة عمر - يا سارية الجبل . واضاءة السوط

كالصباح لاسيد بن حضير في ليلة مظلمة » .  
ومن الكرامات التي رويت عن السيدة نفيسة ، لتبين مدى الرعاية التي  
شملها الله عز وجل بها .. ما يلي : -  
• عن سعيد بن الحسن . قال :

توقف النيل في زمن السيدة نفيسة رضي الله عنها فقلق الناس وجاءوا  
الى السيدة نفيسة يسألونها الدعاء . فلبت ودعت . واعطتهم قناعتهم  
فجاءوا به الى النهر وطرحوه فيه . فمات رجوعا . حتى زخر النيل بمائه  
وزاد ريادة عظيمة .

• طلب حاكم ظالم انسانا في امر تافه ، ليعذبه ، فجاء الرجل الى  
السيدة نفيسة واستجار بها فدعت له ان ينجيها الله من ظلم ذلك الحاكم  
وقالت له : « امض اليه فمدحج الله تعالى عنك نظر الظالمين » . فذهب .  
وادخل عليه وارقف امامه مع الواقفين . فلم يره فسأل عنه اعوانه :  
ابن فلان ؟

فتالوا : ها هو انه واقف بين يديك ..

فقال : مالي لا اراه ؟ انى والله لا اراه .

فقالوا له : انه مر بالسيدة نفيسة ، فانستجار بها وسألها الدعاء .  
فدعت له بخلاصه من الظالمين .

قال الحاكم : وهل بلغ من ظلمي ان يحجب الله عنى المظلوم بالدعاء ؟  
يارب انى تبت اليك . فلما تاب وكان مخلصا في توبته رأى الرجل واففا  
امامه مع الواقفين . فقربه واكرمه وتصدق على الفقراء والمساكين . وبعث  
الى السيدة نفيسة بمبلغ كبير فقسيمته صررا ووزعتها عن اخرها على  
المحتاجين .

• تزوج رجل من اهل المغافر بامراة ذمية فجاء منها بولد . فاسر في  
بلاد العدو . فاخذت المرأة تبحث عنه في كل مكان حتى اعيهاها الامر وقصدت  
البيع تسال عن الاسرى وابنها بينهم فيها دون نتيجة حتى يئست .  
واخيرا قالت لزوجها :

- بلغنى ان بين أظهرها امراة صالحة مجابة الدعاء . يقال لها نفيسة  
بنت الحسن . اذهب اليها . فلعلها لولدتنا فيعود الينا فقد برح بنسا  
غيابه الطويل . فان جاء آمنت بدينها .

**فجاء الرجل الى السيدة نفيسة وقص عليها القصة فدعت له ان يرد الله عليه ولده . وعاد الرجل الى بيته .**

فلما كان الليل اذ بالباب يطرق فخرجت المراد فاذا بابها على الباب . وبعد ان فرح الجميع بعودة الغائب . سالته أمه عن أمره فجعل يحدتها واباه عن أمره وكيف عاد . فقال : كنت واقفا بالأماء على باب المدفن في الوقت الغلاني ( وهو الوقت الذي دعت فيه السيدة نفيسة ) رأتني خدمتي . فلم اشعر الا ويد وقعت على القيد وسمعت من يسبون ادنوه فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت الحسن . فاطلقت من النل ثم لم اشعر بنفسى الا وانا على راس محلتنا هذه فسرت حتى وففت على الباب وطرقته فخرجت انت .

وشاعت هذه الكرامة في الحي فأسلمت المراد واسلم معها عدد كبير من اهل الحي وصارت المرأة من خدام السيدة نفيسة اعترانا بغضائها .

● خرجت امتهاء جوهرة في ليلة ذات مطر غزير لاني سيدتها نفيسة بماء للوضوء فاخذت تخوض في ماء المطر المنهمر في ذهابها واياها وعادت دون ان تبذل لها قدم .

● كان لامرأة عجوز اربع بنات وكن جميعا يتقون من غزلهن تجمع امهن غزلهن في اسبوع وتمضي به الى السوق وتبيعه ثم تشتري بنصف الثمن الذي حصلت عليه كتانا وبالنصف الثاني ما يكفيهن من الطعام اسبوعا .

وحدث في يوم من الأيام ان اخذت الام غزل بناتها وخرجت من دارها الى السوق في يوم جمعة كعادتها في كل اسبوع ، وبينما هي في طريقها والقزل فوق راسها ملفوفا في قماش احمر انقض طائر فجأة على رزقه المزل واحتطمها وارفع ، ووقعت المرة على الارض مبتدوه وغتى عليها ، فلما اقامت بكت على غزلها الذي ضاع واخذت تتسائل وهي تدرق دموعها ماذا تفعل بايتامها ومم نطعمهن اسبوعا واستمع الناس الذين يجتمعوا حولها الى قصتها الم حزبه ، واثار اليها بعضهم ان تذهب الى السيدة نفيسة وتسالها الدعاء ان يفرج عنها ما نزل بها من كرب عسى الله ان يزيل عنها ما بها ببركة ايمانها فمضت اليها وقصت عليها قصتها باكية . فاشفقت عليها السيدة نفيسة ورحمتها ، وقالت :

« يا من علا فقدر وملك فقهر ، أجبر من امتك هذه ما انكسر . فانهن خلقتك وعيالك .

دعت لها بهذا الدعاء وطلبت اليها أن تبقى فان الله على كل شيء قدير ،  
فقدت المرأة وفي قلبها من جوع بناتها التهاب .

وبعد فايل . . أقبل جماعة يطرقون باب السيدة نفيسة ويستأذنون  
في الدخول فاذنت لهم فدخلوا تحدثوا اليها وقالوا أن لهم امرا عجيبا .  
وقالوا : نحن من التجار كنا مسافرين في سفينة قلمنا قربنا من بلدتكم  
اصطدمت سفينتنا بصخرة وانفتحت وأخذ الماء يتسرب من هذه الفتحة  
ونحن نحاول سدها فلا تنسد . فاستغثنا بالله تعالى ، وذكرنا . وتوسلنا  
بك اليه ان ينقذنا من هذا البلاء الذي حم . فاذا بطائر يطير فوقنا ويلقى  
علينا خرقة بها غزل . فوضعناها في المكان المنفتح فانسد باذن الله تعالى  
وبركك وسامنا وقد جئنا بخمسمائة درهم فضة هدية شكرا لله تعالى  
ببكت السيدة نفيسة وقالت :

— « الهى ما أراك والطفك بعبادك الحمد الجميل والشكر الجزيل » .

ثم نادى العجوز وقالت لها :

— بكم تبيعين غزلك كل اسبوع ؟

فقلت :

— بعشرين درهما .

فقلت لها :

— ابشرى فان الله تعالى عوضك عن كل درهم خمسة وعشرين درهما .  
وقصت عليها قصة التجار والسفينة والغزل ودفعت لها ذلك المبلغ .  
فخرجت العجوز باكية من شدة الفرح وهولت الى اولادها . تخبرهم بما  
حدث . وكيف رد الله عليها غزلها ببركة السيدة نفيسة رضى الله عنها .

● كان فى جوار السيدة نفيسة يهودى له ابنة مقعدة .

فقلت لها امها ذات يوم : انى ذاهبة الى الحمام ، ولا ادري ما اصنع  
بك فهل لك ان نحملك معنا ؟

اجابت : لا .

قلت : هل تقيمين فى البيت وحده ؟

قلت البنت : لا ، ولكن احملينى يا اماه عند هذه الشريفة التى فى  
جوارنا . حتى تعودى . فدخلت اليهودية على السيدة نفيسة واسئذنتها

فى المجرى بابتها الى دارها فإذنت . فجاءت بها ووضعتها فى جانب من البيت ومضت .

وحان وقت صلاة الظهر فأحضرت السيدة نفيسة ماء وتوضأت ، فجرى من مائها شىء الى جانب الصبية فجعلت تبل بدها منه وتمر على أعضائها فزال عنها ما كان بها باذن الله وهبت تمشى على رجلها وكأنه لم يكن بها شىء . فلما جاءت امها خرجت اليها ماشية فسألتها فأخبرتها بما حدث فعجبت واسلمت واسلمت معها اسرتها واسلم من علم بالقصة من حياها .

## نفيضة العلم والمعرفة

السيدة نفيسة رضي الله عنها من أهل بيت زقوا العلم زقا ، وهي ثالمة غير معلمة . وفهمة غير مفهمة ، فمادة علمها مما منح وفتح به على رجالات بيتها الرفيع وافيض عليها الهاما .

وكان لها مكانة مكنية بين الأئمة وأساطين المجتهدين . ومما يثبت ما لها من اجلال واكبار في قلوبهم ، ما روى أن بشر بن الحارث - وكان من جلة علماء عصره ، زاهدا ورعا جمع في صدره بين علمي الشريعة والحقيقة - وكان من زوارها وقد مرض وعادته السيدة نفيسة ، وبينما هي عنده في أثناء عيادته اذ دخل الامام أحمد بن حنبل ليعوده - ولما عرف من بشر أن هذه السيدة هي نفيسة بنت الحسن أحسن تحيتها ، وطلب من بشر أن يسألها لهما صالح الدعوات وكان هذا الطلب دليلا على علمه بمقامها للروحي العظيم ، وبدعائها المستجاب .

فقال لها بسر :

- أيتها السيدة الجليلة المقبولة الدعوة . انا نسألك جميعا خالص الدعاء .

فصالت :

- اللهم ان بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا ارحم الراحمين . وبعد أن دعت لهما دعاءها ، طلبت اليهما أن يدعوا لها فوافقا ، تقول السيدة نفيسة رضي الله عنها :

« لقد نعمت بمعرفة الأخ في الله الامام أحمد بن حنبل حينما كان عند صديقه بشر بن الحارث ، وهو على جانب عظيم من العلم والمعرفة وعلو القدر عند الله وقد استجبت لطلبهما ودعوت لهما ، كما طلبت اليهما أن يدعوا لي فكان ذلك . والله مجيب .

وكان من زوارها الامام الشافعي ، وكانت دارها بالنسبة له - بمثابة الواحة الوارفة وسط صحراء جرداء . وقد اعتاد أن يزورها وهو في طريقه الى حلقات درسه في مسجد الفسطاط ، وفي طريق عودته الى داره . وفي غير ذلك من الاوقات .

وكان يسمع منها الحديث النبوي الشريف . ويصلى التراويح في شهر رمضان في مسجدها . وكثيرا ما كان يسألها الدعاء . وكان اذا مرض بعث اليها بأحد أصحابه كالربيع الجيزي . والربيع المرادي فيقول لها :



— ان ابن عمك الشافعى مريض ويسألك الدعاء .  
فترفع بطرفها الى السماء . وتدعو له . فلا يرجع رسوله الا وقد عوفي  
الشافعى من مرضه .

فلما مرنس مرضه الآخر الذى مات فيه ارسل اليها على جارى مادته ،  
ملتصسا منها الدعاء فقالت للقاصد :

— متمه الله بالنظر الى وجهه الكريم .

فلما عاد الناصر سأله الشافعى عما فعل فنقل اليه ما قالت . فطمأنه  
ميت . وأخذ يوصى . ثم أوصى أن تصلى هى عليه فى رحاب بيتها .

فلما توفى جاءوا به الى بيتها تنفيذا لوصيته ، بعد أن صلى عليه  
أبو يعقوب البويطى أحد أصحابه صلاة الجنائز مع المشيعين . فدخلت هى  
عليه مرة أخرى مع لقيف من السيدات الصالحات . وقد بارك الرسول  
صلى الله عليه وسلم هاتين الصلاتين اللتين لم يسبق لهما مثل فيما مضى .  
وروى أحد الصالحين ممن حضر صلاة جنازة الشافعى ، قال عقب أداء  
الصلاتين :

ان الله تعالى غفر لكل من صلى على الشافعى بالشافعى ، وغفر للشافعى  
بصلة السيدة نفيسة رضى الله عنها عليه .

وقد امت رضى الله عنها على الشافعى فقالت : « يرحم الله الشافعى ،  
انه كان يحسن الوضوء » ، وهذه على ايجازها شهادة عالية جامعة ،  
تحتوى طى كلماتها القصار المعانى الرائعة لأن الوضوء اساس العبادة ، واذا  
كان الاساس حسنا فان كل ما يبنى عليه حسن . فكأن لسان حال هذه  
الشهادة الموجزة البليغة يقول : ان الشافعى رضى الله عنه ، كان حسن  
الاجتهاد .

وقد زارها فى حياتها اكابر العلماء .. عثمان بن سعيد المصرى ، الملقب  
بورش ، وذو النون المصرى وعبد الله بن الحكم ، وعبد الرحمن بن عبد الله ،  
وأبو موسى يونس بن الأعلى الصدقى وأبو على الروزبارى ، وأبو الحسن  
الدينورى ، وأبو بكر أحمد بن نصر الدقاق ، وبنان بن أحمد الواسطى ،  
وشقران بن عبد الله المغربى .. وغيرهم من الاكابر .

يقول الامام الشعرانى فى لطائف المتن يصف احمدى زيارته لها :  
وقد دخلت عليها مرة فوقفت على باب مشهدها ناديا ، ودخل أصحابى  
الى قبرها . فلما نمت جاءتني ، وعلى رأسها مئزر صوف ابيض وقالت لى :  
انا نفيسة . اذا جئت للزيارة فادخل الى قبرى ، فقد اذنت لك . فمن  
ذلك اليوم ادخل لزيارتها واجلس تجاه قبرها .

## الحياة البرزخية

الإنسان جسد وروح . . فإذا فارقت الروح الجسد . بدأت حياة البرزخ (١) . وحياة البرزخ ليست امتدادا لحياة الدنيا ، فهي مغايرة لها ، وليست على شاكلتها والا كان الانتقال إليها عبثا وتكرارا ، فضلا عن أن الواقع المشاهد يؤيد تلك المغايرة : فما رجع أحد من الحياة البرزخية الى الدنيا حتى يكون شاهد صدق على أنها امتداد دنيوى .

وهي ايضا ليست الحياة الآخروية ، لأن الحياة الآخروية لها ميقات واسراط وعلامات ما زالت في علم الله تعالى .

فالحياة البرزخية اذن حياة بين حياتين :

حياة نيتها حياة . تحلل فيها الميت من ظلامه وطينيته ودخل منطقة الروح والحق والنور ، فرأى فيها ما حجب عنه في الدنيا وأبصر ما غط عليه . وعلم فيها ومنها ما كان وسيكون .

« فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » .

ورأى منها مكانه في العالم الآخروى ومكانته يوم القيامة . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وان كان من أهل النار فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » .

في الحياة البرزخية صديقون وشهداء احياء في قبورهم ، وفيها جاحدون كافرون معذبون في رمسهم .

وفيها رسل الله من ملائكة ، وأنبياء يعيشون في أجوائها ، يسمعون ويرون ويحسون ويشعرون .

يقول الامام الشعرانى في كتابه « الجواهر والدرر » :

« ان ارواح الانبياء وارواح الكمل باقية على الخدمة في جنة البرزخ ،

(١) البرزخ في اللغة : الحاجز بين الشيئين . والوقت الذى بين الموت والبعث . والبرزخ الحاجز الفاصل الذى يمنع الشيء من أن يختلط بغيره . قال الله تعالى : « بينهما برزخ لا يبغيان » . أى حاجز يمنع البحرين من أن يختلط أحدهما بالآخر .

لكن خدمتها هناك دون خدمتها في دار الدنيا ، وذلك لأن البرزخ له وجه واحد الى طلب التكليف وهو الذي الى الدنيا ، اما الوجه الآخر فهو الى الآخرة ولا تكليف هناك » .

ويقول ابن القيم :

والأرواح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخوانها وأصحاب عملها ؛ ولها بعد المفارقة صحة ومرض ، ولذة ونعيم ، والم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير » .

ويقول أيضاً ابن القيم :

لقد تظاهرت الأدلة من القرآن ، والسنة ، والآثار ، والاعتبار ، والعقل ، والقول ، أن الروح ذات قائمة ، تصعد وتنزل ، وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجيء ، وتنحرك وتسكن ، وعلى هذا القول أكثر من مائة دليل .

ويقول عبد الكريم الجيلي :

إذا كانت الأرواح في الدنيا على الخير كانت مطلقة على الخير في البرزخ .  
وان كانت في الدنيا على الشر كانت مطلقة على الشر فيه .

ويقول الامام الرازي في تفسيره :

ان الأرواح البشرية الخالية من العلائق الجسمية ، المشاة الى الاتصال بالعالم العلوي بعد خروجها من ظلمة الأجساد ، تذهب الى عالم الملائكة ، ومنازل القدس ، ويظهر منها آثار في أحوال هذا العالم . فهن المديرات أمرا ؛ ليس الانسان قد يرى استباده في المنام ويسأله عن مشكلة فيرشده الى حلها .

عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة « الملك » حتى ختمها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي المانعة ، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر . ( رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب ) .

والأرواح تتألف وتتعارف .

وأرواح الأموات تتلاقى بأرواح الأحياء ، والواقع المنامي ودنيا الرؤى والأحلام تثبت ذلك اللقاء الروحي وتؤيده .

وأرواح الأموات تتقارب وتتعارف بأرواح الأموات ، يدل على ذلك ما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابن أبي الدنيا ،

قال : لما مات بشر بن البراء بن معرور حزنت عليه أم بشر حزنا شديدا ،  
فقات : يا رسول الله ، انه لا يزال الهالك يهلك من نبي سلامة ، فهل يتعارف  
الموتى فأرسل الى ولدى بشر بالسلام ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، والذي نفسى بيده يا أم  
بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رعوس الشجر .

فكان لا يهلك هالك من نبي سلامة الا جاءته أم بشر عقيب وفاته  
فقات :

— يا فلان عليك السلام ، اقرأ على بشر السلام .

وقال عبيد بن عمير : ان اهل القبور يتوكلون ( يتتبعون ) الاخبار ،  
فاذا اتاهم الميت قالوا : ما فعل فلان ؟

فيقول : ألم يأتكم ؟ أما قدم عليكم .

فيقولون : لا . . .

فيقول : انا لله وانا اليه راجعون ، سلك به غير سبيلنا .

وعن ابي ايوب الانصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
ان نفس المؤمن اذا قبضت تلتقيها اهل الرحمة عند الله كما يلتقى البشير  
في الدنيا ، فيقول : انظروا احاكم حتى يستريح ، فانه كان في كرب  
شديد . فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة ؟ فذا من اوله  
عن رجل مات قبله قال : انه مات قبلى .

قالوا : انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية فبئست الام  
وبئست المربية .

يقول الشيخ محمد حسن بن مخلوف : ان الروح تبقى في البرزخ حية  
مدركة تسمع وتبصر وتسبح سبحا في ملك الله حيث اراد الله وقدر ،  
وتتصل بالارواح الاخرى ، وتأنس بها وتناجىها ، سواء اكانت ارواح احياء  
ام ارواح اموات .

وقال ايضا :

وقد تواترت الروايات الصحيحة والرؤى من اصناف بنى آدم على فعل  
الارواح بعد موتها ، وانها تقرأ القرآن وتصلى وتخبر ارواح الأحياء عندها  
لغائها ، وتقضى حوائج الناس ، وانها تقدر على ما لا تقدر على مثله حال  
اتصالها بالبدن في الدنيا من هزيمة الجيوش الكبيرة بالعدد القليل ،  
متمثلة ، وغير متمثلة . وظاهر ان هذا هو لبعض الارواح النبي يؤذن لها  
بذلك .

يقول الاستاذ الشيخ محمد بخيت الطيحي مفتى الديار المصرية الأسبق :  
« ان ما يظهر من التصرفات على يد الاولياء لا يخالف صريح القرآن ،  
لأن هذا التصرف الذي ينسب للاولياء هو نوع من الكرامات وهو فعل الله  
وخلقه ، يظهره الله اكراما لهم تارة بالهام ، وتارة ب المنام وتارة بدعائهم وتارة  
بفعلهم واختيارهم وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم ، بل قد  
يحصل من الصبى المميز ، وتارة بالتوسل الى الله تعالى بهم في حياتهم  
وبعد مماتهم مما هو محكى في القدرة الالهية . ولا يقصد اناس بسؤالهم  
ذلك قبل الموت وبعده نسبتهم الى الخلق والايجاد والاستقلال بالأفعال ،  
فان هذا لا يقصده مسلم ولا بخطر ببال أحد من العوام فضلا عن غبرهم .

وقال : وليس هذا التوسل ممنوعا اصلا ، لما علمت مما تقدم ، من  
ان التوسل بالولى انما يطلب من الله اجابة طلبه اكراما لهذا الولي لاعتقاده  
ان هذا الولي اقرب منه الى الله تعالى ، وهذا لا فرق فيه بين الحى والميت  
لما تقدم من ان الفاعل هو الله تعالى ، بل انه بعد الموت اقرب منه حال  
الحياة النبوية ، لان الروح بعد الممات غير مشغولة بتدبير شئون البدن .

وقال : وكما جاز ان يتوسط حى في قضاء مصلحة حى او ميت ،  
والفعل لله وحده ، يجوز او يتوسط روح ميت في قضاء مصلحة حى او  
ميت والفعل لله وحده . والارواح باقية على الحياة وأفعالها في عالم الملك  
انما تظهر بواسطة البدن بالحياة الحيوانية فاذا مات وقعد الحياة الحيوانية  
بقيت نفسه وروحه على حياتها الملكوتية وتعلقت بجسمه تعلقا آخر على  
وجه آخر يعلمه الله تعالى كما دل عليه نعيم القبر وعذابه ، فاذا كان الفعل  
والروح باقية خالدة . ففعلها باق وتصرفها في أفعالها لا يتغير الا بعدم  
ظهور الأفعال بواسطة البدن . فلا مانع عقلا أن يكون بعض ارواح الاولياء  
والصالحين بعد موت الأجساد سببا بدعائهم وتوجهها الى الله تعالى في قضاء  
حوادث بعض الزائرين لهم المتوسلين بهم بدون أن يكون لها مدخل في  
التأثير - وإى فرق بين التوسط بالأحياء في قضاء الحوائج مع الاعتقاد  
ان لا فاعل اى لا خالق للفعل غير الله وبين توسط ارواح الأموات في اعتقاد  
ذلك ؟

والقول بأن ملوك الدنيا انما يحتاجون الى الوسوسة ليجوز الغفلة  
عليهم عن حوائج الناس بخلاف العليم الخبير ، سفسطة ظاهرة . وتوهمه  
على العقول ، فان الملك ووسائطه واسطته في قضاء حوائج الطالب من الله  
تعالى اى لا فاعل سواه ، فلو كان اتخاذ الوسائط شركا بعد اعتقاد ان المؤثر  
هو الله تعالى وحده لكانت معاونة بعضنا بعضا في قضاء المصالح شركا -

وهذا باطل بالضرورة لما يترتب عليه من بطلان الشرائع وفساد نظام العالم وعدم نسبة الأفعال الاختيارية الى فاعليها فتبطل الحدود والزواجر ويختل النظام .

قال المناوى فى شرح عينية ابن سينا فى النفس . قال الناظم فى كتاب زيارة القبور : تعلق النفس بالبدن عظيم جدا حتى انها بعد المفارقة تشتاق وتلتفت الى الأجزاء البدنية المدفونة ، فاذا زار انسان قبر انسان آخر ونفذه عن العلائق الجسمانية والعلائق الطبيعية توجهت نفسه الى العالم العقلى فتواجه نفسه نفس الميت وتحصل منها المقابلة كما فى المرآتين فيرسم فيهما صورة عقلية بطريقة الانعكاس ويحصل لها بذلك كمال .

ان زيارة القبورة تارة يقصد بها الموعظة بالأموات وهذه تعم جميع القبور والأموات . وتارة يقصد بها الاستمداد والتبرك بالمزور . وهذا يختص بالأنبياء والأولياء والصالحين .

ان الانسان يتأثر بتصوراته وان نفسه تحت قهر سلطان الوهم ؟ فكيف من انسان تحقق أن سيقتل لا محالة فتصور الموت واقعا به فمات بسبب ذلك قبل أن يقتل - كذلك اذا زار الانسان مشهد الحسين رضى الله تعالى عنه واعتقد أنه بمكان طاهر بين يدي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم استولى عليه الخشوع والخضوع وامتلا قلبه اخلاصا فيدعو الله مخلصا موقنا بالاجابة خصوصا اذا اعتقد أن روح الحسين رضى الله عنه تسال الله تعالى اجابة دعاء زائره . ليس ذلك سببا فى اجابة الدعاء وقضاء حوائج الزائرين المخلصين والله هو المؤثر .

ولا نرى مسلما ولو عاميا يتوهم فضلا عن أن يعتقد الله شريكا فى خلقه ، فمهما اعتقد الزائر أن المزور أظهر منه روحا وأصفى نفسا بما أعطاه الله تعالى من الكمال الانسانى وان كان العوام لا يستطيعون التعبير عما تكنه صدورهم من حسن العقيدة وكمال الإيمان .

## كرامات السيدة نفيسة بعد وفاتها

السيدة نفيسة رضى الله عنها تفيض في برزخها ، كما كانت تفيض في الحياة الدنيا حيوية ومحبة ، ومن علاها تمد يدها ، وتهدي علمها . ونبت ايماءاتها للاحياء بالعمل الصالح والاقبال على طاعة الله جل جلاله .

ولها رضى الله تعالى عنها كرامات لا حصر لها ، هي آية على اكرام الله تعالى اياها ، وعلى ما خص الله به آل البيت النبوى الكريم من كرامات وأسبغ عليهم من نفحات وفيوضات .

● كان بمصر رجل يقال له : عفان بن سليمان المصرى ، وجد في داره مالا مدفونا ، فتصدق منه على الفقراء والمساكين والأيامى واليتامى وابناء السبيل . وكان لا ينام حتى يطعم خمسمائة بيت منهم . ويتلقى الحاجج من العقبة ، ويحمل المنقطع منهم . واشترى من وزير مصر - احمد بن سهل - أنف حمل برا ، ثم حصل غلاء شديد ، بلغ فيه ثمن البر ثلاثة أمثال الثمن الذى اشتراه به ، فأراد الوزير أن يشتريه منه بالثمن الحاضر ، فأبى . وقال : انما ادخر ثمنه عند الله تعالى ، وفرقه على الفقراء والمساكين . فتغيظ منه تكين أمير مصر ، وكان جبارا عيدا ، شكاه الناس لأبى الحسن إله الدينورى ، فوعظه ، فلم يقبل وأخرجه الى بيت المقدس ، وشكوه الى بنان ابن احمد الواسطى الواعظ ، فوعظه ، فلم يقبل ، وأخرجه الى بلاد المغرب ، فأمر بسلب أموال عفان المذكور . فتوجه عفان الى الشريف على بن عبد الله ، وأخبره بالأمر ، وأنه عازم على مهاجرة مصر الى غيرها من البلاد . فتوجه به الشريف على الى مقام السيدة نفيسة . وجلس كل واحد منهما فى جانب من القبر الشريف . وقرأ شيئا من القرآن الكريم . وتوسلا بها الى الله تعالى فى أن يدفع ظلم تكين عن عفان ، ويفرج كربته ، فأخذتهما سنة من النوم ، فرأى الشريف على السيدة نفيسة تقول له :

— خذ عفان ، وتوجه به الى تكين ، فقد قضيت حاجته .

فاستيقظ وتوجه به اليه ، فلما دخل عليه ، وقف تكين على قدميه ، وهو ترتعد فرائصه ، وقد حم لوقته . وقال :

— رأيت السيدة نفيسة تقول لى ، اكرم الشريف عليا ، وارجع عن عفان ، فإنه استجار بنا .

### فقال الشريف : هذا عفان بين يديك

فقال تكين : والله لم اره . يا رب انى تائب . فأبصره فى الحال . وقال له : انت عتيق السيدة نفيسة واکرمهما . وتصدق بمال وفير ، وحسن شأنه ، واحسن الى اهل مصر . ولازم زيارة السيدة نفيسة ، الى أن توفى يوم السبت العاشر من ربيع الأول سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة . وحمل الى بيت المقدس ، كوصيته ، وكان يقول : اهل مصر يخافوننى ، وانا اخاف دعوة عفان عند ضريح السيدة نفيسة ، واقام بعده وئده على طريقته فى الاحسان والزيارة . وتوفى عفان فى سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة ، ودفن فى طريق مصر .

● حكى عن أبى العز اليمانى ، انه قال : كنت عزيزا فى قومي ، أثرا فى عشيرتى ، من أكثرهم مالا وضياعا ، فاستطلت بنفسى وشمخت بأنفى وتكبرت على الناس . واحتقرت أمرهم فلم ألث حتى ذهب مالى ، فضاعت بى الأرض بما رحبت ، وعزائى الصديق ، وفرح الحسود فقال لى صديق : عليك بالصالحين عسى الله أن يفرج عنك ما نزل بك ، فاعتزلت الناس ، فرأيت فى نومي كأنى فى فضاء واسع ، فيه نور ساطع ، يظهر تارة ويختفى تارة أخرى . فأخذنى العجب من ذلك فاذا بقائل يقول : هذا نور السيدة نفيسة بنت الحسن . فقلت : عسى الله أن يجمع بينى وبينها فأسألها الدعاء بزوال كربتى . فقيل لى : انها ماتت . فقلت : اغنم بركة زيارتها . فسمعت من يقول : انا نفيسة يا أبا العز . فارق نفسك ، وانزع عنها سوءها .

فقلت : فارقتها فرقة لا عودة لى اليها . وانى تبت الى الله عز وجل مما فرط منى .

فقالت : أبشر . فقد قبلت التوبة . وزالت الحوبة .

فأصبحت فرحاً بما رأيت وانصلح حالى بعد قليل من الأيام . وزادنى الله - بفضلہ وكرمه - أضعاف ما كنت فيه . ببركتها رضى الله عنها .

● أورد ابن اياس ، فى حوادث سنة ٩٢٦ ، أن شخصاً يقال له محبى الدين ابن مشرى ، كانت له ابنة صغيرة لها من العمر نحو سبع سنين ، وكان أبوها ساكناً فى المرافعة ، بالقرب من مزار السيدة نفيسة رضى الله عنها . وكان على رأس تلك البنت كوفية من الذهب ، فوفقت تلعب مع الصغار فى الحارة ، وكان لهم جار صبي أمرد ، فطمع فى الكوفية الذهب التى على رأس البنت ، فلعب بمقلها ، وقال لها امك فى السيدة نفيسة ،



وأرسلت تطلبك هناك ، فمضت معه ، وأخذ معه عبدا أسود ، فلما توجهوا بتلك البنت الى تربة خراب خلف مزار السيدة نفيسة القيا بالبنت فذبحاها هناك . وحملها والقيها في فسقية هناك ، وأخذ الكوفية التي على رأسها وتركها تتحبط في دماها ، فقامت هناك يوما وليلة ، تكثر النفيس عليها من امها أبيها ، فنزل أبوها الى السوق وأوصى التجار بمرافقه الكوفية الذهب التي كانت على رأس ابنته ، فاذا راوها ، أتوه بها ، فبينما هو في الصاغة ، وإذا هو بالصبي الامرد يعرض الكوفية للبيع ، فقبضوا عليه ، وتوجهوا الى باب الأمير كمشيفا ، فلما عرضوه على الوالي ، أقر بأنه أخذ الكوفية ، من فوق رأس البنت ، وأنه ذبحها ، ورماها في فسقية ، خلف مزار السيدة نفيسة ، فقالوا له : امض معنا ، وارنا ذلك المكان الذي رميتها فيه . فخرج معهم ، وهو في الحديد ، واتى بهم الى تلك الفسقية التي رماها فيها ، فنزل أبو البنت اليها ، فوجدها راغدة . وهي مذبوحة وفيها بعض روح ، ولم ينقطع ويردها من الذبح ، فحملها وطلع بها من تلك الفسقية ، فلما بلغ الأمير ذلك ، أرسل فأحضر الجميع بين يديه ، وقصوا عليه قصة الصبي وما جرى له مع البنت ، فحزن الأمير . وقال لها : من فعل بك هذا ؟ فأشارت الى الصبي والعبد الأسود الذي على باب البيت ، الذي تسكن فيه البنت ووالدها واحضروا للبنت من ضمدها جرحها الذي برقيتها وعاشت بعد ذلك وبرات من الجرح .

وقد قالت البنت ، انه بعد أن القيا بها في الفسقية ، دخلت عليها امرأة ، وعلى وجهها قناع وقالت : لا تخافى انى انا السيدة نفيسة ، وغدا تخلصين من هذا المكان . ثم مسحت الدم من رقبتى فانقطع في الحال . وسكن روعى مما كنت فيه .

● قال الامام الشعرانى رحمه الله تعالى : دخلت انا لقبر السيدة نفيسة مرة : فوفقت على باب مشهدها الاول ادبا ، ودخل اصحابى الى قبرها ، فلما تمت جاءتنى وعلى رأسها منزر صوف ابيض . وقالت لى : انا نفيسة فاذا جئت للزيارة ، فادخل الى قبرى فقد اذنت لك . فمن ذلك اليوم ، وأنا ادخل لزيارتها وأجلس تجاه وجهها .

● وقال الامام الشعرانى : رأيت في كلام الشيخ أبى المواهب الشاذلى انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد اذا كان لك الى الله تعالى حاجة فانذر لنفيسة الطاهرة ولو بدرهم ، يقض الله تعالى حاجتك .

● ذكر المرحوم محمد فيضى باشا مدير الاوقاف المصرية سابقا : فقدت والدتى عقدا ثمينا لها من اللؤلؤ وبحثت عنه كثيرا فلم تجده . فتوجهت الى

مقام السيدة نفيسة وطلبت من الله عز وجل أن يرده اليها ببركتها ، وعادت ونامت . وفي نومها رأت السيدة نفيسة تعطيها العقد وتقول لها « تحفظي عليه » فاستيقظت . فوجدته في يدها .

● ذكر المرحوم محمد باشا فوزى : انه لما كان في أسبوط رئيسا لمجلس الاستئناف رأى وهو في حالة بين اليقظة والنوم ، بعد أن أدى صلاة الفجر سيدة دخلت عليه وقالت له : « انتقل من هذا البيت في هذا اليوم حالا » فاستيقظ واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم عاد الى ما كان عليه من نومه . فأرأى فقال له ذلك أيضا . فاستيقظ مدعورا واستعاذ بالله العظيم وعاد الى نومه . فأرأى للمرة الثالثة وقالت : « أنا نفيسة بنت الحسن . . وعادت ما قالته مرة ثالثة . فأجابها بالامثال للامر ، واستيقظ وبحث عن بيت في الحال وانتقل اليه وما أن تم نقل جميع ما بالبيت حتى سقط جميعه وتهدم من غير ضرر لنفس ولا مال .

● كان للمرحوم الشيخ محمود الجباسي ، خادم مقام السيدة سكينة بنت الحسين ، رضى الله عنهما ، أخت صالحة ، تسلمت حليا ، كان على نعلن أخت محمد ذكر الله الحداد عند دفنها بالقرافة النفيسية ، ولما أرادت أن تسام الورثة الوديعه ، فاذا بقلادة من الذهب ضائعة ، فأنهموها بسرفتها ، واعتدوا عليها . فذهبت الى مقام السيدة نفيسة شاكية ، باكية ، تتضرع لربها ، وتتوسل بصاحبة المقام ، أن تظهر براءتها ، فرأت سيدة بهية الطلعة لها جلالة ووقار في عنقها قلادة شبيهة بالقلادة الضائعة ، فسارعت اليها ، واخذت منها القلادة ، والسيدة ساكنة هادئة ، ثم ذهبت بها الى أهل المتروفاة ، واعطتهم القلادة ، وأخبرتهم بواقعها ، فاعتذروا اليها ، وأكرموها .

## المشهد النفيسى

بنى المشهد النفيسى على يد ابن السرى بن الحكم أمير مصر ، وهذا المشهد قائم على القبر الذى حفرته السيدة نفيسة رضى الله عنها بيديها فى حياتها ، ودفنت فيه عند موتها فى عام ٢٠٨ هـ

وكان مكتوبا على اللوح الرخامى الموضوع على باب الضريح ، وهو الذى كان مصفحا بالحديد ما يلى :

### بسم الله الرحمن الرحيم

« نصر من الله وفتح قريب . لعبد الله ووليه مسعد بن أبى تميم الامام المنتصر بالله أمير المؤمنين . صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائهم المكرمين .

امر بعمارة هذا الباب السيد الاجل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاء المسلمين وهاذى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وامتع بطول بقاءه المؤمنين وادام قدرته واعلى كلمته وشده عضده بوالده الاجل الافضل سيف الانام جلال الاسلام ، شرف الايام ، ناصر الدين خليل امير المؤمنين ، زاد الله فى علائكه وامتع امير المؤمنين بطول بقاءه فى شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثمانين واربعمائة » .

والقبة التى على الضريح جددتها الخليفة الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، وامر بعمل الرخام الذى بالحراب وكان مكتوبا على باب الضريح البيتان الاتيان وهما للامام الشافعى رضى الله عنه :

يا اهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن انزله  
يكفيكم من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له (١)

وقد جدد المشهد عدة مرات احداها على يد الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٤ هـ واخرى فى سنة ١١٧٣ هـ حيث جدد رحابه ورواقه الامير عبد الرحمن كتحدا .

(١) أى لا صلاة كاملة .

وقد كتب على باب الضريح بالذهب على الرخام البيتان الآتيان ، وهما  
للعامة محمد بن اسماعيل النفراوى المالكى :

عرش الحقائق مهبط الأسرار      قبر النفيسة بنت ذى الأنوار  
حسن بن زيد بن الامسا      م على ابن عم المصطفى المختار  
وله أيضا ، ما كتب على باب القبلة بالذهب على الرخام ، وبهما حساب  
السنة التى جدد فيها المشهد :

عبد الرحمن لعفو قد ترحى      قد بناها روضة للزائرين  
فلذا أرختها يا زائريها      ادخلوها بسلام آمنين .  
وقد أمر عباس باشا الأول بصنع مقصورة لقبرها من النحاس الأصفر  
مكتوب عليها :

مقصورة اتقنت الله صنعتها      تستوجب الشكر عند الله والناس  
تذيع همة منشئها مؤرخة      من بعض طيب أحسان لعباس  
واقم بناؤه الحالى فى سنة ١٣١٢ هـ وافتتح للعبادة فى سنة ١٣١٤  
باحفال فخم .

وقد ورد فى بعض المراجع انه لما أزيل البناء القديم ورفعت التربة عن  
صحن المسجد ظهرت مقامة القبر مبنية بالطوب اللبن . وحدثت ثغرة فى  
المقامة فسولت للمهندس المشرف على بناء المسجد نفسه أن يمد يده من  
الثغرة ليستطلع ما فى القبر ، فمدها فمست جسما كجسم النائم ، فأصيب  
كفه فى النخل بدمل استمر فى علاجه ثلاثة أشهر ولم يبرأ منه الا بتفلة من  
فم احد الصالحين معروف باسم الشيخ سليم ابى حسين المسلمين ، بعد ان  
استتابه فتاب وقرأ الفاتحة .

وهذه الحكاية لا تزال ذائعة فى حى السيدة نفيسة الى الآن .

قال المقرئى « قبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة باجابة الدعاء  
بمصر » .

وكان كافور الأخشيدي لا يدع زيارته السيدة نفيسة فى س يوم خميس  
وعندما يبدو له باب المشهد من بعيد يترجل ويمشى ويدخل حاسر الرأس  
ويسأل الله تعالى فى ضريحها حوائجه فتقضى ، ويفى بالنسدر ، وكان  
يأتى بللسك والطيب والشمع والزيت والقناديل ، ويحسرن الى خدم المقام  
والفقراء كثيرا ، واستمر على ذلك الى ان توفى بمصر فى سنة ٣٥٦ هـ .

وما زال المشهد النفيسى مرفوع الأركان ، سميك البنيان يشع منه  
الضياء وتنبعث من حفافيه النفحات والبركات .

## المراجع

- القرآن الكريم
- تفسير البضاوى ، وابن كثير
- نور الأبصار
- اسعاف الراغبين
- الصواعق المحرقة
- تاريخ الرسل والملوك
- اسد الغابة
- الاسماعيل
- نهج البلاغه
- رياض الأحزان وحدثائق الأشجان
- اخبار الزينبات
- الرياض النضرة
- الجواهر النفيسة في مناقب السيدة نفيسة
- لطائف المنن
- محمد رسول الله
- بطة كربلاء
- فاطمة الزهراء
- السيدة زينب
- السيدة زينب
- الحياة البرزخية في القرآن
- السبده نفيسة
- كريمه الدارين
- حكم الاسلام في التوسل
- بالانبياء والاولياء عليهم السلام
- الشبلنجي
- محمد الصبان
- أحمد بن حجر الهيتمي
- الطبرى
- عز الدين بن الاثير
- ابن عبد البر
- ابن أبى حديد
- محمد حسن القزوينى
- العبدلى
- المحب الطبرى
- الامام الشعرانى
- عبد الحميد جوده السحار
- د . بنت الشاطيء
- عباس محمود العقاد
- على احمد شلبى
- محمود الشرقاوى
- د . محمود بن الشريف
- محمد شاهين حمزة
- احمد فهمى محمد
- محمد حسنين مخلوف

رقم الايداع بدار الكتب ٧٨/٤١٨٨

---

الترقيم الدولي ٤ - ١١٦ - ٢٢٦ - ٩٧٧ ISBN

مطبعة المعرفة - عمارة الشامين  
ميدان لافونتين - ت: ٢٥٥٣٩٩٠



✽ هذا الكتاب يروى صفحات مشرقة  
عطرة من حياة أهل البيت النبوى الكريم ،  
سادات العباد ، وانوار الله فى جميع  
البلاد .

✽ واذا كانت حياتهم - رضوان الله  
عليهم - عطرا فواحا لا يغني بمرور الزمن  
، ولا يذهب ريحه الطيب الزكى بتوالي  
الحقب والأيام ، انما هو عطر خالد باق  
نستروحه فى كل حين فنجد انه هو العطر  
الفواح الذى تهدا به النفس ، وينشرح له  
الصدر ، ونستقبل به الحياة فى دفاعنا عن  
الحق ، وذودنا عن المبادئ الشريفة -  
احسن استقبال

- وما احرانا ان نقتبس من منهجهم  
القويم ، وطريقهم المستقيم فى الحياة ما  
يوصلنا الى خير الدنيا والآخرة.

بسم الله والآن نتركك - عزيزى القارئ -  
مع هذه الرحلة الطيبة التى يصحنا فيها  
الكاتب الاسلاسى الكبير الاستاذ محمود  
الشرقاوى مع السيرة العطرة لآل  
النبوى الكريم .

Bibliotheca Alexandrina



0396046

